بن دريسو مصطفى بن محمد

السِّيرة النبويّة في العهد المكِّي
مراجعة معرفية وحدِيثِيَّة

مع إجراء تطبيقات للقاعدة الحديثية الجديدة
"حدّ النص التابع للسند"

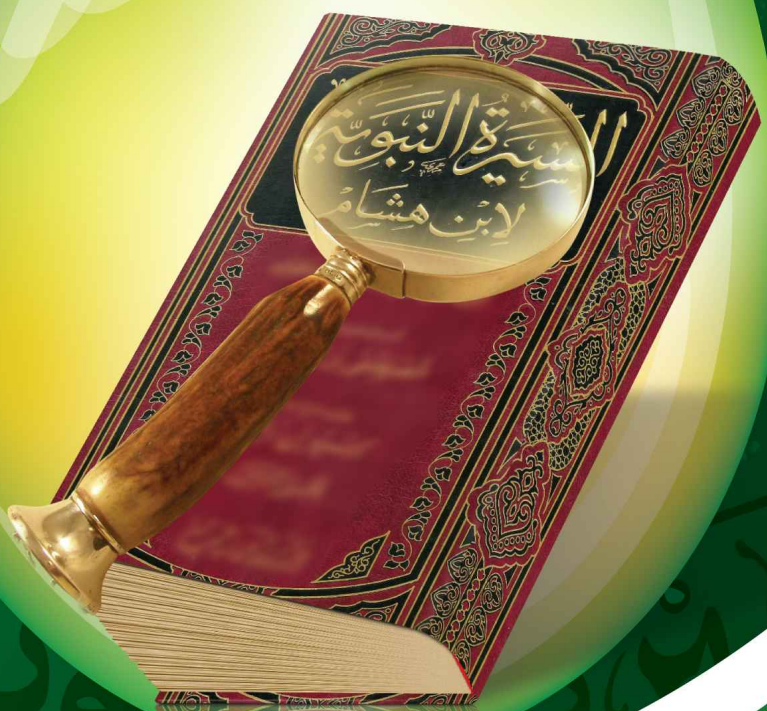

السِّيرة النبوية في العهد المكّي: مراجعة معرفية وحديثِيَّة

مع إجراء تطبيقات للقاعدة الحديثِيَّة الجديدة: "حدُّ النص التابع للسند"

بن دريسو مصطفى بن محمد بن صالح

الطبعة الثانية

السِّيرة النبويّة في العهد الـمكِّي
مراجعة معرفية وحدِيثِـيَّة

العنوان:

المؤلف: بن دريسو مصطفى بن محمد - أستاذ بجامعة غرداية (الجزائر)

المقاس: 24x17 سم

الصفحات: 88 صفحة

البريد الإلكتروني: mustapha_bendrissou@yahoo.fr

ردمك: ISBN 978-9931-496-39-7

الإيداع القانوني: السّداسي الثاني 2018

طبع في: مطبعة شريف . م (الآفاق)
شارع ممر القافلة أمام ثانوية مفدي زكرياء
بني يزقن - غرداية - الجزائر
هاتف / فاكس: 020 72 36 71
النقال: 0658 03 92 07
horizonprint47@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أرسل الله رسله وأنبياءه عليهم الصلاة والسلام إلى البشرية منذ خِلقتها الأولى لأجل هدايتهم إلى الرشاد، وتوجيههم إلى الاستغلال الأمثل لحياتهم الدنيا، وتبصريهم بالميعاد المنتظر بعد الموت، يقول تعالى: "رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيمًا" (سورة النساء: 165)، ومن هؤلاء الرسل المختارين والمصطفين لأداء رسالة الحياة والوجود، سيّدنا وحبيبنا مُحَمَّد رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، أرسله الله رحمة للعالمين، فاستضاء الكون بمبعثه، واستنارت الحياة برسالته، وألقى الله في النفوس محبّته، فقال تعالى عنه: "وَمَنْ يُّطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا، ذَالِكَ الْفَضْلُ مِنَ الله وَكَفَى بِالله عَلِيمًا" (سورة النساء: 69، 70).

ومن تمام كمال دعوة الرسول مُحَمَّد ﷺ أن الله ميّزه بأخلاق عالية، وشمائل طيّبة، ألهمت صحابته رضوان الله عليهم وأتباعه من بعده اقتفاء أثره، والسير على هداه، وتبنّي مواقفه، ونصرة الحق من أين صدر، ومجانبة الباطل مهما تجبّر وسحر. ومن هذا المنطلق راح المؤلّفون من السلف والخلف يتسابقون في تدوين مجريات حياة الرسول ﷺ، ويتسارعون في كتابة عبر وعظات مستخلصة من أفعاله الحكيمة وأقواله الجليلة، لكن إزاء هذا التأليف البديع للسيرة النبوية، والنظم الرفيع لدلائل نبوته ﷺ، ظهرت بعض المبالغات في الوصف، وعلت بعض المنزلقات في التعبير، ممّا يتطلب التحرّي في النقل، والتمعّن في القول، إيمانا بأنّ أعمال الخلق بعد

الرسول ﷺ كلّها تندرج في دائرة الاجتهاد، وتخرج من حلبة العصمة والتقديس؛ الأمر الذي يسمح بمعالجة بعض الأحداث المسيئة لفهم رسالة الإسلام، وإبعاد الصور المتحاملة على الدين والنيل من مكانة الرسول مُحَمَّد ﷺ ورسالته الخالدة.

ويأتي هذا العمل المتواضع ضمن حلقة أعمال عملاقة بدأها روّاد السيرة النبوية، ونقاد أخبار حياة الرسول ﷺ بغرض تصحيح ما يمكن رصده من مبالغات، وتفنيد ما لا يتناسب وجوهر المعتقد الإسلامي من مرويّات، وتحليل أبعاد المقاصد السياسيّة التي تنطوي عليها بعض العبارات. ودافعي في كل هذا إزالة الغبش من بعض الأحداث، وتنحية ما يمكن أن يستغلّ في عصرنا للتمييز بين الأشقّاء والأحباب، رغبة في تصفية القلوب من الأحقاد والأضغان، والاستفادة من سيرة خير البريّة في أنبل مقصدها، المتمثّل في جمع المسلمين إخوة متحابّين؛ من المهاجرين والأنصار؛ ومن المتمذهبين المعاصرين من أيّ فجّ عميق، ومن أيّ بلد بعيد، ومن أي مذهب سديد؛ سنّي الوجهة، أو شيعيّ المشرب، أو إباضيّ المنهل.

ويأتي العرض بمنهج تحليل الأخبار، وتدقيق المرويّات، وتوجيه الأحداث بما لا يتعارض مع الآيات البيّنات، ولا يصطدم مع النقول الصحيحة للأحاديث حسبما أرادها مدوّنوها وجامعوها، لا كما قرأها شرّاحها والمعلّقون عليها من المتأخّرين بأمد، لتتناسب النّقول مع روح الفطرة السليمة، ومدارك السنن الكونيّة.

ويكتفي العرض بتقديم نماذج من سيرة الرسول ﷺ –ندعو الله أن تكون موفّقة– تعين في فتح الشهيّة لدراسات موسّعة في تنقية التراث الإسلاميّ وغربلة بعض ما فيه، من دون أيّ عُقد استعلائيّة، ودون أيّ تحامل مبطون بتحكّمات

سابقة، أو مغذَّى بسموم النزعات العدائيّة المذهبيّة أو الدينيّة أو الإيديولوجيّة، كما يهتمّ البحث بانتقاء بعض الإشكالات التي تعترض القارئ لسيرة الرسولﷺ في العهد المكيّ من خلال المصادر المعتمدة، وعلى رأسها سيرة ابن هشام.

هذا؛ وإنّي أتأسّف من عدم استكمالي لكلّ مسيرة السيرة العطرة؛ إذ توقّفت في المرحلة المكيّة، لعل الله يفتح لي أو لغيري مواصلة المنهج التمحيصيّ، وبخاصة وأنّ المرحلة المدنيّة تنطوي على مواقف ثريّة، وأحداث جليلة لها تعلّق بالتّشريع الإسلاميّ، وتخصّ حياة المسلم في بيته وأهله وإخوانه ومجتمعه، وتبيّن له سبُل التعامل مع غير المسلم الذي لم يذعن لرسالة ربّ العالمين، ولم يرغب أن يقتفي أثر حبيب أمّة الإسلام؛ مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين.

والله الموفّق إلى ما فيه الخير والصواب، وهو وليّ ذلك والقادر عليه.

بن دريسو مصطفى، 03 ماي 2018

القضية الأولى: مكان ولادته ﷺ، وتاريخه

1- مكان مولده:

وُلد سيّد الأنام مُحَمَّد بن عبد الله في دار بشِعب بني هاشم بمكّة المكرّمة[1]، ويقال بدار صارت فيما بعد دارا لمحمد بن يوسف الثقفيّ (أخ الحجّاج)[2].

إذا درسنا هذه المعلومات بعين فاحصة لا نجد دليلا يعوّل عليه في إثباتها، ولكنّ ورودها في بعض كتب السيرة يفتح الأمر لمناقشتها وتحليلها في نقطتين:

1- شرع الدين الإسلاميّ التعبّد والتقرّب إلى الله من دون واسطة، ومن دون أيّ احتياج إلى بشر أو حجر أو مزار يعظّم فيه الله تعالى، سوى ما حدده الله تعالى بالقطع اليقينيّ الذي لا يحتمل التأويل ولا العناء في تعيينه، كالكعبة المشرّفة، ومقام إبراهيم عليه السلام، ومن ثمّ لا توجد أيّ فائدة تذكر لتحديد موقع ميلاد الحبيب ﷺ، حتّى لا يفتح المجال لباب تقديس المواقع والجدران، ولذلك فإننا نستحسن ما انتهجه القائمون على بلاد الرسول ﷺ من طمس كلّ الآثار المادّية لما لم يرد نصّ شرعيّ بالاعتداد به، ولا تتعلّق به عبادة منصوصة؛ على الرغم من أنّ هذا الاختيار يثير حفيظة كثير من المسلمين، ويجرّ السخط الشديد من الناس؛ قديما وحديثا، إلّا أنّنا نراه فعلا محمودا، ومقصدا نبيلا يعود نفعه للإسلام والمسلمين، وبخاصّة وأن الجهل لا يزال يُنصر بطرق شتّى، وحبّ التعلّق بالأسباب المادّية لم ينفكّ عنه المسلم المعاصر، وما يشاهد من التمسّح بالجدران في الحرم

---

1) الحلبي: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ص 1/ 102.

2) مُحَمَّد أبو شُهبة: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ص 1/ 174.

المكّي وفي كثير من بلاد الإسلام لَدليل على تقديس المسلم للآثار المادّية على حساب المعاني الإيمانيّة في قلبه والمفاهيم الغيبيّة في عقله.

2- نسبت بعض كتُب التاريخ الدار التي يقال إنّها موطن ولادة خير البريّة إلى رجل من عصر متأخّر عن العهد الأوّل (أخ الحجّاج)، وغيَّبت صاحبها الذي آلت إليه الدار حين ترعرع الرسول ﷺ في حضن جدّه وعمّه ثمّ بعد هجرته إلى المدينة وتركه مكّة كليّة، وتجاهلت هذه الكتب ذكر صاحب الدار بعد وفاة الرسول ﷺ؛ ممّا يوحي بانطواء الأمر على فكرة إبراز شخصيّة معيّنة، والإكثار من ذكره في أكثر من حدث، استرجاعا لمجد الحاكم، وتمجيدا لأسرته، وتبريرا لسياسة حكمه التي انتهجها في عهده، وهو ما يدعونا إلى تطهير كتُب التراث من أثر السياسة ولهيبها عند تدوين التاريخ والتشريع الإسلاميّ.

2- تاريخ الولادة:

عادة لا يصل أرباب التاريخ إلى اتّفاق يذكر حول تاريخ ميلاد أو وفاة شخصيّة معيّنة، وهذا أمر طبيعيّ ومنطقي نظرا لقلّة التقييد في الماضي، ولعدم توفّر سجلّات خاصّة مثلما هو الحال في عصرنا، ومن ثمّ لا غرابة إن عثرنا على وجهات نظر متعدّدة لتاريخ ميلاد خير البريّة، مادام لم يأت به تشريع صريح ولم تدوّنه سجلّات محفوظة عبر التاريخ الطويل. لكن يفترض ألّا يستغلّ هذا الاختلاف لتأكيد التمايز بين أبناء أمّة مُحَمَّد ﷺ، واتّخاذ ذلك ذريعة لاستقلال كلّ طرف بمعلومات خاصّة به ليست عند الطرف الآخر، وهو ما نستنكره بشدّة، ونمقُت نتيجته كلّية، وسيتّضح لنا الأمر أكثر بعد بيان الأقوال في تاريخ ميلاد الرسول ﷺ، وتحليل موضع المختلف حوله، ونبدأ بذكر سنة ميلاده ﷺ والشهر ثمّ

اليوم.

السنة: ذكر غير واحد أنّ سنة الميلاد كانت في أوّل عام من حادثة الفيل[1]، وروى الحاكم عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: "ولد النبيّ ﷺ عام الفيل"، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخَين ولم يُخَرِّجاه[2]. وفي هذا ينقل البيهقي عن ابن المنذر قوله: "لا يشكّ فيه أحد من علمائنا أنّ رسول الله ﷺ ولد عام الفيل, وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل"[3]، أو أربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان[4].

الشهر: ربيع الأوّل، وهذا موطن اتّفاق أغلب علماء السيرة المعتمدين، وفي هذا الصدد يقول ابن كثير: "هذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم"[5].

اليوم: وردت عدّة أقوال في تحديد ميعاد يوم المولد من شهر ربيع الأوّل، وهذه أهمّها:

– اليوم الثاني: قال ابن كثير: "رواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدنيّ"[6].

– اليوم الثامن: قال ابن كثير: "رواه مالك وغيره، عن الزهريّ عن مُحَمَّد بن

---

1) ابن هشام: السيرة النبوية، 1/ 158.

2) الحاكم: المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، حديث: 4120.

3) البيهقي: دلائل النبوة: 1، 16.

4) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص45.

5) ابن كثير: البداية والنهاية، 2/ 320؛ انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، 1/ 158.

6) ابن كثير: البداية والنهاية، 2/ 320؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 1/ 10.

جبير بن مطعم"[1].

– اليوم التاسع: اختاره المباركفوري[2].

– العاشر: ذكر ابن كثير أنّه رواه ابن عساكر عن أبي جعفر الباقر[3].

– الثاني عشر، من يوم الاثنين: نصَّ عليه ابن إسحاق، واعتمده ابن هشام[4]، وذكر المباركفوري أنّ ذلك كان في الصبيحة[5]، واستدل أهل هذا القول القول بأحاديث، منها:

روى أبو قتادة الأنصاري ﷺ أنّ رسول الله ﷺ سئل عن صوم الاثنين؟ فقال: "فيه ولدت وفيه أُنزل علي".

عن عفّان عن سعيد بن ميناء عن جابر وابن عبّاس أنّهما قالا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأوّل، وفيه بُعث، وفيه عُرج به إلى السّماء، وفيه هاجر، وفيه مات[6].

– السابع عشر: ذكره ابن كثير، وقال: "نقله ابن دحية عن بعض الشّيعة"[7]، وهذا القول هو المشهور بين علماء الشّيعة؛ إذ يذكرون أنّه ولد

---

1) ابن كثير: البداية والنهاية، 2/ 320.

2) المباركفوري: الرحيق المختوم، 45.

3) ابن كثير: البداية والنهاية، 2/ 320.

4) ابن هشام: السيرة النبوية، 1/ 158.

5) المباركفوري: الرحيق المختوم، 45.

6) نسبه ابن كثير لأبي بكر بن أبي شيبة، وبحثت عليه في النسخة المحققة للمصنف فلم أعثر عليه، ولم أجد تخريجه في باقي كتب الحديث، انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 2/ 320؛ ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: مُحَمَّد عوامة، دار القبلة، 2006.

7) ابن كثير: البداية والنهاية، 2/ 320.

يوم الجمعة بعد طلوع الفجر[1].

يلاحظ المتتبّع لتاريخ ولادة النبيّ ﷺ أنّ الخلاف لم يحدث في سنة ولادته أو الشهر، وإنما كان في يوم الولادة بالضبط، وهو التاريخ الذي يتمّ فيه تحديد ميعاد الاحتفال بالنبيّ ﷺ، ويقرّر على وفقه –في عصرنا– ميعاد العطلة الرسميّة للمواطنين التابعين للدول الإسلاميّة، ليظهر جليّا أنّ تبنّي طائفتين أساسيّتين في عصرنا؛ السنّة والشّيعة، لرأيين مختلفين؛ الأولى ترجّح الثاني عشر، والثانية ترجّح السابع عشر، وعدّه إحدى مقوّمات التمايز بينهما، ليس إلّا تكلّفا في توسيع شقّة الخلاف بينهما، وذريعة لتغطية جوهر الخلاف السياسيّ بينهما –منذ العهد العثمانيّ والصفويّ– باسم الدين والشريعة الغرّاء، على أنّ الطائفة المعاصرة الثالثة "الإباضيّة" هي في هذه المسألة مع الاختيار السنّي.

ومن وجهة نظرنا فإنّ قضية الاحتفال بتاريخ معيّن ليست إلّا ترجيحا لتاريخ ميلاد على آخر لم يرد في نصّ من كتاب ولا سنّة صحيحة يعوّل عليها، وتعدّدا لوجهات نظر حول يوم من أيّام الله تعالى التي لا يتعلّق به تشريع ولا حكم إلهيّ ظاهر، واختيارا لأمر لم يهتمّ به صاحب الشأن نفسه؛ ممّا يجعل أيّ اختيار للمسلم في هذه المسألة –سواء أكان إلغاء للاحتفال، أو اتّفاقا على تاريخ منضبط، أو عدم الاتّفاق على ميعاد محدّد– ممّا يجوز فيه الخلاف، ولا يهمّ الاختلاف حوله.

ومن الإنصاف لديننا، أن نعُدّ الاختيارين الأساسيّين بين الطّرف الأوّل: السنّة والإباضيّة (اليوم الثاني عشر)، والطرف الثاني: الشّيعة (السابع عشر) أمرا فرضه التمايز بين الطوائف، وبالتالي فليعلم المتشدّد في الاختيار أنّ ذلك من

1) علي الكوراني العاملي: السيرة النبوية برواية أهل البيت، ص1/ 89.

مخلّفات الصراع الطائفيّ بين المسلمين، الذي ظاهره دينيّ، وباطنه الاختلاف حول النفوذ السياسيّ، والحضور الفعليّ على الساحة العلميّة والواقعيّة، وليدرك أنّ فعله صادر عن غباء مبطون على حبّ الذات، واشتهاء وضع حواجز فاصلة تفرّق ولا تجمع بين المؤمنين بإله واحد ورسول واحد؛ وهو ما يستدعي العمل الجادّ لرأب الصدع، وتنحية أسباب الفرقة المتشبّثة بكلّ هشّ وقشّ، والتصريح بأنّ اختلافات المسلمين المعاصرة ليست بريئة من نوايا الاستعلاء والاستكبار، وأنّها تتغطّى بدوافع غريزة التسلّط والمنافسة على الزّعامة، وبهذه النظرة المصطحبة لقراراتنا سنعمل سويّا، وإن كانت لنا وجهات نظر مختلفة حول فكرة واحدة.

القضية الثانية: إرهاصات الميلاد

نظرا لورود أخبار كثيرة في ولادة الرسول ﷺ، فإنّنا نرغب أن نستعرضها ونبيّن الصحيح والضعيف من هذه الإرهاصات حسبما ذكره أهل فنّ الحديث، ثمّ نستخلص العبرة في تناول هذه المرويّات، وماذا تعني وجودها في حقّ الرّسولﷺ.

1- الروايات الواردة في أنّ أمّ النبيّ ﷺ رأت نورا:

- روى ابن سعد: عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: "رأت أمّي كأنّه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام"[1]. صحّحه الألباني[2].

- روى ابن حبّان[3] وأحمد[4]: عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: إِنِّي عَبْدُ الله فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ [ملقى على الجدالة، أي: الأرض] فِي طِينَتِهِ وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ: دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ". ضعّفه الألباني[5].

2- وقع معتمدا على يديه:

روى ابن سعد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: -دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ-

1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، رقم الحديث: 193.
2) صححه الألباني في كتابه: صحيح السيرة النبوية، 1/ 17.
3) صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، ذكر كتبة الله جل وعلا عنده مُحَمَّدا ﷺ، حديث: 6495.
4) مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث العرباض بن سارية عن النبي ﷺ، حديث: 16844.
5) الألباني: السلسلة الضعيفة، رقم الحديث: 2085.

أَنَّ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ قَالَتْ: لَقَدْ عَلِقْتُ بِهِ تَعْنِي رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا وَجَدْتُ لَهُ مَشَقَّةً حَتَّى وَضَعْتُهُ، فَلَمَّا فَصَلَ مِنِّي خَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أَضَاءَ لَهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، ثُمَّ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ مُعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَقَبَضَهَا وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: وَقَعَ جَاثِيًا عَلَى رُكْبَتَيْهِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ. وَخَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ وَأَسْوَاقُهَا حَتَّى رَأَيْتُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى[1].

وأخرجه أيضا ابن حبّان، وهي رواية ضعيفة[2]، ولم أعثر على من صحّح رواية ابن سعد، والله أعلم.

3- الانتقال بين الأصلاب.

ذكر ابن الجوزي خبرا موضوعا مرويّا عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله، أين كنت وآدم في الجنّة؟ قال كنت في صلبه، وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقُذفت في النار في صلب أبي إبراهيم لم يلتق لي أبوان قطّ على سفاح، لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقيّة مهذّبًا، لا يتشعّب شعبان إلّا كنت في خيرهما، فأخذ الله لي بالنبوّة ميثاقي، وفي التوراة بشّر بي، وفي الإنجيل شهر اسمي، تشرق الأرض

1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ذكر مولد رسول الله ص، رقم الحديث: 188؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 2/ 323.

2) صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، ذكر شق جبريل عليه السلام صدر المصطفى ﷺ، حديث: 6335؛ علق محقق الكتاب: شعيب الأرناؤوط بقوله: "في سنده انقطاع بين عبد الله بن جعفر -وهو ابن أبي طالب- وبين حليمة"، وضعفه الألباني كذلك.

لوجهي، والسماء لرؤيتي، ورقى بي في سمائه، وشقّ لي اسمًا من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا مُحَمَّد[1].

4- ارتجاس إيوان كسرى.

روى البيهقي في دلائل النبوّة حديثا فيه، عن مَخْزُوم بْن هَانِئٍ الْمَخْزُومِي، عَنْ أَبِيهِ، وَأَتَتْ عَلَيْهِ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، قَالَ: "لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَجَسَ إِيوَانُ كِسْرَى، وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً، وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ، وَلَمْ تَخْمُدْ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ، وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ [اسم مدينة]، وَرَأَى الْمُوبَذَانُ [الموبذان للمجوس، كقاضى القضاة للمسلمين] إِبِلا صِعَابًا تَقُودُ خَيْلا عِرَابًا، قَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةَ وَانْتَشَرَتْ فِي بِلادِهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ كِسْرَى أَفْزَعَهُ ذَلِكَ، وَتَصَبَّرَ عَلَيْهِ تَشَجُّعًا، ثُمَّ رَأَى أَنْ لا يَدَّخِرَ ذَلِكَ عَنْ وُزَرَائِهِ وَمَرَازِبَتِهِ حِينَ عِيلَ صَبْرُهُ، فَجَمَعَهُمْ، وَلَبِسَ تَاجَهُ، وَقَعَدَ عَلَى سَرِيرِهِ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ.

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عِنْدَهُ، قَالَ: أَتَدْرُونَ فِيمَا بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ؟ قَالُوا: لا، إِلا أَنْ يُخْبِرَنَا الْمَلِكُ بِذَلِكَ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَتَاهُ كِتَابٌ بِخُمُودِ نَارِ فَارِسَ، فَازْدَادَ غَمًّا إِلَى غَمِّهِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ بِمَا هَالَهُ، فَقَالَ الْمُوبَذَانُ: وَأَنَا أَصْلَحَ الله الْمَلِكَ، قَدْ رَأَيْتُ فِيَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَاهُ فِي الإِبِلِ، قَالَ: أَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ هَذَا يَا مُوبَذَانُ؟ وَكَانَ أَعْلَمَهُمْ

1) ابن الجوزي، الموضوعات لابن الجوزي، 1/ 281، وقال: "هذا حديث موضوع، قد وضعه بعض القصاص".

فِي أَنْفُسِهِمْ، قَالَ: حَدَثٌ يَكُونُ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَرَبِ، فَكَتَبَ كِسْرَى عِنْدَ ذَلِكَ:

"مِنْ مَلَكِ الْمُلُوكِ كِسْرَى إِلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، أَمَّا بَعْدُ: فَوَجِّهْ إِلَيَّ بِرَجُلٍ عَالِمٍ بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِعَبْدِ الْمَسِيحِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَيَّانَ بْنِ بُقَيْلَةَ الْغَسَّانِيِّ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ، قَالَ: أَلَكَ عِلْمٌ بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ؟ قَالَ: يَسْأَلُنِي أَوْ يُخْبِرُنِي الْمَلِكُ، فَإِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ أَخْبَرْتُهُ، وَإِلّا دَلَلْتُهُ عَلَى مَنْ يَعْلَمُهُ، قَالَ: فَأَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى، قَالَ: عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ خَالٍ لِي يَسْكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ، يُقَالُ لَهُ: سَطِيحٌ، قَالَ: فَاذْهَبْ إِلَيْهِ فَاسْأَلْهُ وَائْتِنِي بِتَأْوِيلِ مَا عِنْدَهُ، فَنَهَضَ عَبْدُ الْمَسِيحِ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سَطِيحٍ، وَقَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَحَيَّاهُ، فَلَمْ يُحِرْ جَوَابًا، فَأَنْشَدَ عَبْدُ الْمَسِيحِ، يَقُولُ:

أَصُمَّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ الْيَمَنْ أَمْ فَادَ فَازْلَمَّ بِهِ شَأْوُ الْعَنَنْ

يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ وَكَاشِفَ الْكُرْبَةِ عَنْ وَجْهِ الْغَضِنْ

أَتَاكَ شَيْخُ الحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذِئْبِ بْنِ حَجَنْ

أَزْرَقُ بَهْمُ النَّابِ صَوَّارُ الأُذُنْ أَبْيَضُ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنْ

رَسُولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرِي بِالْوَسَنْ لا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلا رَيْبَ الزَّمَنْ

قَالَ: فَفَتَحَ سَطِيحٌ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: عَبْدُ الْمَسِيحْ، عَلَى جَمَلٍ مُسِيحْ إِلَى سَطِيحْ، وَقَدْ أَوْفَى عَلَى الصَّرِيحْ، بَعَثَكَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانْ، لارْتِجَاسِ الإِيوَانْ، وَخُمُودِ النِّيرَانْ، وَرُؤْيَا الْمُوبَذَانْ، رَأَى إِبِلا صِعَابًا، تَقُودُ خَيْلا عِرَابًا، قَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةَ وَانْتَشَرَتْ فِي بِلادِهَا، يَا عَبْدَ الْمَسِيحْ، إِذَا كَثُرَتِ التِّلاوَهْ، وَظَهَرَ صَاحِبُ الْهِرَاوَهْ، وَفَاضَ وَادِي السَّمَاوَهْ، وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَهْ، وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِسَ، فَلَيْسَ الشَّامُ لِسَطِيحٍ شَامًا، يَمْلِكُ مِنْهُمْ مُلُوكٌ وَمَلِكَاتْ، عَلَى عَدَدِ الشُّرُفَاتْ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتْ، ثُمَّ قَضَى سَطِيحٌ مَكَانَهُ، فَنَهَضَ عَبْدُ الْمَسِيحِ إِلَى رَاحِلَتِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: شَمِّرْ فَإِنَّكَ مَاضِي الْهَمِّ شِمِّيرُ لا يُفْزِعَنَّكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْيِيرُ إِنْ يُمْسِ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ أَطْوَارٌ دَهَارِيرُ فَرُبَّمَا رُبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ يَهَابُ صَوْلَتَهَا الأُسْدُ الْمَهَاصِيرُ مِنْهُمْ أَخُو الصَّرْحِ بَهْرَامٌ وَإِخْوَتُهُ وَالْهُرْمُزَانُ وَسَابُورٌ وَسَابُورُ وَالنَّاسُ أَوْلادُ عَلاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنْ قَدْ أَقَلَّ فَمَحْقُورٌ وَمَهْجُورُ وَهُمْ بَنُو الأُمِّ أَمَّا إِنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنٍ فَالْخَيْرُ مُتَّبَعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ.

قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الْمَسِيحِ عَلَى كِسْرَى فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ سَطِيحٍ، فَقَالَ: إِلَى أَنْ يَمْلِكَ مِنَّا أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَلِكًا كَانَتْ أُمُورٌ وَأُمُورٌ، فَمَلَكَ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ فِي أَرْبَعِ سِنِينَ، وَالْبَاقُونَ إِلَى أَنْ قُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ الله عَنْهُ[1].

قال الذهبي: هذا حديث منكر غريب[2]، وقال المباركفوري: لا يقره مُحَمَّد الغزالي[3].

---

1) البيهقي: دلائل النبوة، باب ما جاء في ارتجاس إيوان كسرى، رقم الحديث: 43.

2) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ص 1/ 38.

3) المباركفوري: الرحيق المختوم، 45. ويعلق الشيخ الغزالي عن بعض الآثار المروية عن الإرهاصات: "هذا الكلام تعبير غلط عن فكرة صحيحة"؛ مُحَمَّد الغزالي: فقه السيرة النبوية، ص 48.

العبرة:

من مجموع الروايات السابقة لا نجد إلّا الرواية الأولى التي ثبت تصحيح العلماء لسندها، بخلاف بقيّة الروايات المتعلّقة بالانتقال بين الأصلاب أو بارتجاس إيوان كسرى أو بالاعتماد على يديه ﷺ عند الولادة، فهذه كلّها يعتريها الضعف أو تحسب من الأخبار الموضوعة.

وإذا دقّقنا في فحوى هذه الروايات نجدها تعرض الرسول ﷺ في صورة لا تتوافق مطلقا مع ما وضّحه الله لنا في كتابه بأنّه ليس إلّا بشرا، يقول تعالى: "قُلِ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى آ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ" (سورة فصلت: 06)، علما أنّ هذا الوصف الأخير في القرآن بصيغة الحصر والتوكيد "إنّما أنا بشر" يقتضي خلع كلّ وصف له في ولادته ينمّ عن خروقات عجيبة، أو إرهاصات تجعل الإنسان العادي يرى فارقا بينه وبين رسوله ﷺ الذي أمره ربّه بالاقتداء به، حينما قال عنه: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ، لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا" (سورة الأحزاب: 21).

وإذا رجعنا إلى الرواية الأولى التي صحّحها بعض العلماء فلا نرى حتميّة حملها على ظاهرها، على اعتبار أنّ أمّ الرسول ﷺ رأت كأنّه خرج منها نور أضاء منه قصور الشّام، وذلك لعدّة اعتبارات منها:

– لم يرد بصيغة الجزم، وإنّما أظهر أنّ أمّ الرسول ﷺ الحامل رأت كأنّه خرج منها نور، من دون أن تجزم بأنّها رأت نورا.

– قضيّة العسر الذي يعترض الحامل عادة قرب مخاضها، ويثقِّل عليها حالها، ممّا يجعلها في حالة غير طبيعيّة.

– تُعد الإرهاصات بمثابة معجزات سابقة لأوانها، ونحن نعلم أنّ من شروط المعجزة أن تكون على يدي مدّعي النبوّة، وتثبت بواقعيّتها أثناء الأداء، أو يتمّ خبرها بنصّ شرعيّ توفّرت فيه كلّ شروط النّقل الصحيح، مثلما هو حال مريم عليها السلام، حينما حكى الله عنها حالها فقال: "إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (سورة آل عمران: 45)، فالألفاظ والمعاني الواردة في الآية كانت صريحة ومباشرة لا تحتمل تأويلا ولا توجيها، وأوردها الله علينا في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ غلقا لكلّ باب من أبواب الاحتمالات.

ولأجل ما مرّ يمكن حمل الحديث الأوّل على غير معناه الظاهريّ، وذلك على معنى أنّ أمّ الرسول ﷺ شعرت كأنّ ولدها سيكون له شأن، أو أنّها رأت رؤيا استبشرت بها، ولا نرى أيّ ضرورة شرعيّة ملزمة تقتضي الاعتداد بما ورد في الرواية الأولى بنصّها الظّاهريّ دون تأويل لها، وبخاصّة وأنّها لم ترد في الصحاح ولا في كتب السنن المتداولة بين أهل العلم، والله أعلم.

القضية الثالثة: ختان الرسول ﷺ

ذكر ابن هشام أنّه لما ولد رسول الله ﷺ أرسلته أمّه إلى جدّه عبد المطّلب تبشّره بحفيده، فجاء مستبشرًا ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر له[1]، ثم خَتَنَه يوم سابعه، وهو ما اختاره ابن القيّم اعتمادا على حديث، علّق عليه قائلا: "وهو على ما فيه أشبه بالصواب، وأقرب إلى الواقع"[2]، وهذا الختان في اليوم السابع يتناسب وما كان العرب يفعلون[3].

وورد في حديث عن ابن عبّاس، عن أبيه العبّاس بن عبد المطّلب، قال: "ولد رسول الله ﷺ مختونا مسرورا"[4]، ونقل ابن القيّم أنّ ابن عبد البرّ علّق على الحديث بقوله: "ليس إسناد حديث العبّاس هذا بالقائم"، ولا يخفى أنّ القول بولادته مختونا يتنافي مع موضوع بشريّة الرسول ﷺ، ذلك أنّ "جلدة بَشَرَة الحشفة" خلقها الله بمنزلة وقايةٍ تحمي الأعصاب الكثيفة من الاحتكاك جرّاء حركة الجنين داخل رحم أمّه؛ ممّا قد يسبّب توتّرا للجنين يعيق نموّه، وبعد خروجه إلى الوجود تصير تلك البشرة موطنا تجمّع النفايات، ممّا يستدعي إزالتها، وبالتالي ولادة الرسول ﷺ بدونها لا تخدم كمال جسمه ﷺ.

وأتصوّر أنّ قراءتنا لسيرة الرسول ﷺ ينبغي أن تسلك هذا النهج، وتُدرس بما يتناسق وباقي الأدلة، وبما ينسجم مع ما يذكره الله عن نبيّه في القرآن الكريم من

---

1) ابن هشام: السيرة النبوية: 1/ 159.

2) ابن القيم: تحفة المولود بأحكام المولود، ص 206.

3) المباركفوري: الرحيق المختوم، 45.

4) البيهقي: دلائل النبوة، باب تزوج عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي صلى الله، حديث: 31.

أنّه كان بشرا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ومع ما يرد مفصّلا في أحاديث نبويّة ومرويّات تاريخيّة صحيحة.

القضية الرابعة: ترك المرضعات الرسول ﷺ ليتمه

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي جَهْمُ بْنُ أَبِي جَهْمٍ مَوْلَى الْحَارِثِ بْنِ حَاطِبٍ الْجُمَحِيّ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَوْ عَمّنْ حَدّثَهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ السّعْدِيّةُ، أُمّ رَسُولِ الله ﷺ الّتِي أَرْضَعَتْهُ تُحَدّثُ أَنّهَا خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا، وَابْنٍ لَهَا صَغِيرٍ تُرْضِعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، تَلْتَمِسُ الرّضَعَاءَ قَالَتْ: وَذَلِكَ فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ لَمْ تُبْقِ لَنَا شَيْئًا.

قَالَتْ فَخَرَجْت عَلَى أَتَانٍ [أنثى الحمار] لِي قَمْرَاءَ [القمرة لون البياض إلى الحمرة] مَعَنَا شَارِفٌ لَنَا [الناقة المسنة]، وَالله مَا تَبِضّ [لا ترشح قطرة لبن] بِقَطْرَةٍ وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيّنَا الّذِي مَعَنَا، مِنْ بُكَائِهِ مِنْ الْجُوعِ مَا فِي ثَدْيَيّ مَا يُغْنِيهِ وَمَا فِي شَارِفِنَا مَا يُغَذّيهِ – قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ يُغَذّيهِ – وَلَكِنّا كُنّا نَرْجُو الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ.

فَخَرَجْت عَلَى أَتَانِي تِلْكَ فَلَقَدْ أَدَمْت [حدثت في ركبها جروح دامية لاصطكاكها] بِالرّكْبِ حَتّى شَقّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضَعْفًا وَعَجَفًا،

حَتّى قَدِمْنَا مَكّةَ نَلْتَمِسُ –صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ – فَتَأْبَاهُ إذَا قِيلَ لَهَا إنّهُ يَتِيمٌ.

وَذَلِكَ أَنّا إنّمَا كُنّا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصّبِيّ،

فَكُنّا نَقُولُ: يَتِيمٌ، وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمّهُ وَجَدّهُ.

فَكُنّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ. فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدِمَتْ مَعِي إلّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي.

فَلَمّا أَجْمَعْنَا الِانْطِلَاقَ قُلْت لِصَاحِبِي: وَالله إنّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ

صَوَاحِبِي وَلَمْ آخُذْ رَضِيعًا، وَالله لَأَذْهَبَنّ إِلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَآخُذَنّهُ،

قَالَ لَا عَلَيْك أَنْ تَفْعَلِي، عَسَى الله أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِيهِ بَرَكَةً. قَالَتْ فَذَهَبْت إلَيْهِ فَأَخَذْته، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى أَخْذِهِ إلّا أَنّي لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ.

قَالَتْ فَلَمّا أَخَذْته، رَجَعْت بِهِ إلَى رَحْلِي فَلَمّا وَضَعْته فِي حِجْرِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ حَتّى رَوِيَ وَشَرِبَ مَعَهُ أَخُوهُ حَتّى رَوِيَ ثُمّ نَامَا، وَمَا كُنّا نَنَامُ مَعَهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَقَامَ زَوْجِي إلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَإِذَا إنّهَا لَحَافِلٌ فَحَلَبَ.

قَالَتْ يَقُولُ صَاحِبِي حِينَ أَصْبَحْنَا: تَعْلَمِي وَالله يَا حَلِيمَةُ، لَقَدْ أَخَذْت نَسَمَةً مُبَارَكَةً قَالَتْ فَقُلْت: وَالله إنّي لَأَرْجُو ذَلِكَ. قَالَتْ ثُمّ خَرَجْنَا وَرَكِبْت أَتَانِي، وَحَمَلْته عَلَيْهَا مَعِي، فَوَالله لَقَطَعَتْ [سبقت] بِالرّكْبِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ خُمُرِهِمْ.

حَتّى إنّ صَوَاحِبِي لَيَقِفْنَ لِي: يَا ابْنَةَ أَبِي ذُؤَيْبٍ، وَيْحَك ارْبَعِي عَلَيْنَا، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانَك الّتِي كُنْت خَرَجْت عَلَيْهَا؟ فَأَقُولُ لَهُنّ بَلَى وَالله إنّهَا لَهِيَ هِيَ فَيَقُلْنَ وَالله إنّ لَهَا شَأْنًا.

قَالَتْ ثُمّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ. وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الله أَجْدَبَ مِنْهَا. فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبْنًا. فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ. وَمَا يَحْلُبُ إنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ. حَتّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِمْ: وَيْلَكُمْ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبْنًا، فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرّفُ مِنَ الله الزّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلْته.

وَكَانَ يَشِبّ شَبَابًا لَا يَشِبّهُ الْغِلْمَانُ فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتّى كَانَ غُلَامًا جَفْرًا.

قَالَتْ فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْثِهِ فِينَا؛ لِمَا كُنّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ. فَكَلّمْنَا أُمّهُ وَقُلْت لَهَا: لَوْ تَرَكْت بُنَيّ عِنْدِي حَتّى يَغْلُظَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَأَ مَكّةَ قَالَتْ فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتّى رَدّتْهُ مَعَنَا[1].

المتفحص لهذه الرواية التي ذكرها ابن هشام، وساندة في بعض جزئيّاتها ابن حبّان[2]، يجد فيها متناقضات مع باقي المعلومات في السيرة النبويّة، ويعثر على النمطيّة المعتادة في وصف اليتيم بأنّه ذلك الطفل الفقير، المكسور الخاطر، في حين أنّ في كتب السيرة ما ينبئ عن كون النبيّ ﷺ عاش في طفولته حياة كريمة، محفوفة برعاية فائقة ممّن حوله، وهذا بيان الأمر.

1- توفّي والد الرسول ﷺ "عبد الله" وخلف ابنه -مُحَمَّد ﷺ- جنينا في بطن أمّه، وترك له تركِة فيها خمسة أجمال، وبعض الأغنام، وجارية أمّ أيمن[3]، وتسمّى البركة وهي التي حضنت الرسول ﷺ[4].

2- أمّه، هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كِلاب (ويسمى حكيما، وهذا الجدّ يجمع نسب الرسول من جهة أمّه ووالده). وهي من أحد

---

1) ابن هشام: السيرة النبوية: 1/ 162 ، 163؛ ونقلت شرح الكلمات من كتاب الروض الأنف، أنظر: السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ص 2/ 103 وما بعدها.

2) الهيثمي: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تحقيق: الألباني وسماه "ضعيف موارد الظمآن"، ص 153.

3) الحلبي: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ص 1/ 85.

4) بركة بنت ثعلبة، تكنى بأم أيمن نسبة إلى ابنها أيمن بن عبيد، جاءت به من زوجها الأول: عبيد الحبشي. ولها كنية أخرى تدعى أم أسامة نسبة إلى ولدها أسامة بن زيد، جاءت به من زوجها الثاني: زيد بن حارثة. ويقال لهذه الفاضلة: مولاة رسول الله ﷺ، وخادم رسول الله ﷺ، انظر: ابن الأثير: أسد الغابة، 1/ 1320.

بطون قريش العريقة والمرموقة "آل بني زهرة". ووالدها وهب بن عبد مناف، يقول عنه ابن هشام: "سيّد بني زهرة نسبا وشرفا"، ويذكر ابنته بالخير فيصفها بأنّها: "أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعا"[1]. وكلّ هذا يظهر أنّ المرأة لم تكن صاحبة حاجة وفقر، وإنّما عاشت حياة هنيئة وطيّبة.

3- أجداده: كلّهم أصحاب شرف ومال، فمثلا: جدّه الثاني "هاشم" تولّى الرفادة والسقاية للحجيج. وعمّ جدّه الأوّل (أخ هاشم) المسمّى: "المطّلب" كان تاجرا حاذقا، قيل هو الذي سنّ رحلة الشتاء والصيف لقريش. أمّا جدّه الرابع "قُصَيّ" فجمع شمل قريش (أبناء نضر بن كنانة) في مكّة بعدما كانوا متفرّقين في ضواحيها، وبعد أن أخرج منها خزاعة[2]، ولا يفعل ذلك إلّا من أوتي حظّا من الحكمة والجاه، وعادة ما يتبع المال صاحب الحكم والسيادة.

4- جدّه عبد المطّلب روي عنه أكثر من قصّة تؤكّد غناه وثراه بما يقطع الشكّ ويزيل كلّ لبس، ومن ذلك قصّة حفر بئر زمزم ومُمانعة قريش له على ذلك، فنذر إن ولد له عشرة أبناء يشدّون أزره، سيذبح أحد أبنائه، فلمّا كانت القرعة على أصغرهم "عبد الله" فداه بمائة من النوق[3].

يفترض أنّ الجد الذي أفدى ابنه بمائة من النوق، بغضّ النظر عن صحّة العدد، فإنّه لن يتخلّى عن حفيده بعد موت قرّة عينه شابّا يافعا، وبخاصّة وأنّ هذا الحفيد كان محبوبا جدّا من قِبله، حيث يذكر ابن هشام أنّ رَسُولُ الله صَلّى الله

---

1) ابن هشام: السيرة النبوية، 1/ 156.

2) المصدر نفسه، 1/ 129، 135، 137.

3) المصدر نفسه، 1/ 151؛ جاء في حديث أن النبي نودي: "يا بن الذبيحين، فتبسم رسول الله ولم ينكر عليه". الحاكم: المستدرك، رقم الحديث: 4036.

عَلَيْهِ وَسَلّمَ كان دائما مَعَ جَدّهِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، يقرّبه في مجلسه أمام الْكَعْبَةِ على أبنائه (أعمام الرسول ﷺ) من صلبه؛ إجْلَالًا لَهُ، واستشرافا بمستقبله، لما يراه من فطانة وذكاء في حفيده، فيقول لهم: "دَعُوا ابْنِي، فَوَ اللهِ إنَّ لَهُ لَشَأْنًا، ثُمّ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْفِرَاشِ، وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، وَيَسُرّهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ"[1].

فإذا استصحبنا هذه المعلومات الكثيفة حول الحالة المادّية والمعيشيّة لأسرة الطفل الرضيع، وعلى رأسها ثراء جدّه الكفيل له، صعب علينا الإقرار بالمبالغات التي ذكرتها كتب السيرة عن يتمه، وعلى رأسهم ابن هشام نفسه، فتأتي نسوة من خارج مكّة، لرضاع هذا الطفل، فيقلن: "يَتِيمٌ، وَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمّهُ وَجَدّهُ، فَكُنّا نَكْرَهُهُ لِذَلِكَ". ثمّ قالت مرضعته: "فَمَا بَقِيَتْ امْرَأَةٌ قَدِمَتْ مَعِي إلّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي"، وقولها: "وَالله إنّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبِي وَلَمْ آخُذْ رَضِيعًا، وَالله لَأَذْهَبَنّ إلَى ذَلِكَ الْيَتِيمِ فَلَآخُذَنّهُ". فلن تكون هذه المعلومات –في نظري والله أعلم– غير مبالغة في تصوير مشهد اليتم والمسكنة، وإظهار الشفقة والتعلق بحب النبيء ﷺ من خلال المظاهر المحسوسة، وربط أخلاقه وصبره على الحياة بالفاقة والفقر في ريعان شبابه. والأكثر إثارة في الموضوع أن تكتب المعلومات بأسلوب حوار ينسب كلُّ قول لصاحبه، مع أنّ الأمر فيه أكثر من مغالطة للحقيقة، ممّا يستدعي منّا مراجعة دقيقة لتراثنا، ووضع آليّات فاعلة عند قراءته حتّى نستفيد منه، من غير تقديس ولا تدنيس، ونجلّي الثابت من المتغيّر، ونميّز الأصل من الفرع، وبهذه النّظرة الفاحصة يجب علينا أن نقرأ مواطن الاختلاف بين المسلمين من غير تعصّب ولا تشنّج، ولا حبّ للتمايز، حتّى نكون موضوعيّين،

1) ابن هشام: السيرة النبوية، 1/ 168.

ونعيش انسجاما فكريّا في عقولنا، ونستمدّ قوّة روحيّة من تجارب الماضين لمواجهة مصاعب الحياة وتعقيدها، فنصنع حضارة راقية بتعاون كلّ المسلمين مع بعضهم، بغضّ النظر عن انتماءاتهم المذهبيّة، ونبني صرحا شامخا مؤسّسا وفق قواعد ربانيّة يقينيّة، وتوجيهات إنسانيّة قابلة للنقد والتوجيه، مهما كان مصدرها وقائلها.

وتحليلنا هذا يجسد في الأخير أن رسولنا ﷺ بشر مثل أي بشر، إلا أنّه مميّز ومصطفى من الله بوحي يوحيه إليه، لينذر الناس ويبشرهم بربّهم وبمصيرهم الأخرويّ.

القضية الخامسة: دعوة بعض كتاب السيرة إلى محبة قوم رسول ﷺ

من بين كتاب السيرة المتألّقين، والذين كان لهم فضل كبير والحمد لله في تعلّقنا بسيرة حبيبنا مُحَمَّدﷺ، التألّيف الرّاقي لشهيد أمّتنا، العالم الفقيه، والمفكّر العقديّ، الشيخ البوطي –رحمه الله تعالى– إذ وفّقه الله لفتح باب جديد في كتابة السيرة بعد أن استفاد من عنوان كتاب لصنوه، شيخ علماء المعاصرين "مُحَمَّد الغزالي" –رفع الله روحه مع الطيّبين والنبيئين، وجمعنا الله وإيّاهم في الفردوس الأعلى– سمّاه "فقه السيرة"، حيث ألهم هذا العنوان الشيخ البوطي إلى تقديم تحليل فقهي منضبط للأحداث الواردة في السّيرة، وأعانه على استخراج عبر ودروس راقية اقتدى في استنباط بعضها بما دوّنه الكاتب والناقد: مصطفى السباعي –رحمه الله تعالى– في كتابه: "دروس وعبر من السيرة النبويّة".

في هذا المؤلّف الجليل للشيخ البوطي دعا إلى محبّة القوم الذين ظهر فيهم رسول الله ﷺ، وتمجيد القبيلة التي ولد فيها الحبيب على بقيّة خلق الناس أجمعين، فقال: "اعلم أنّ مقتضى محبّة رسول الله ﷺ، محبّة القوم الذين ظهر فيهم والقبيلة التي ولد فيها؛ لا من حيث الأفراد والجنس، بل من حيث الحقيقة المجرّدة؛ ذلك لأنّ الحقيقة العربيّة القرشيّة قد شرف كلّ منها –ولا ريب– بانتساب رسول اللهﷺ إليها"[1].

يبدو لنا أنّ هذا موقف غريب، والقبول به غير لائق؛ لأنّه يصنع –في

1) البوطي: فقه السيرة النبوية، ص 45.

نظرنا- فكرا خانعا، وينشئ حبّا زائفا، ويخلق ولاءات نسَبِيّة وعصبيّات مقيتة، ويجعل المرء يتعلّق بالأشخاص والسادة عوض التوجّه لربّ العباد وحده دون سواه، وهو القائل: "وَمَآ أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ"، (سورة التوبة: 31).

وكيف لنا بقبول دعوة فيها الاعتزاز بحبّ طائفة كبيرة من الناس؛ فيهم الصّالح والطّالح..

وكيف لنا من تمجيد من روي عنهم في أكثر من مصدر بأنّهم أهل فظاظة ورعونة، وأساء الكثير منهم لأرحم مخلوق على وجه المطمورة..

وكيف يعدّ ذلك دينا يتقرّب به إلى الله، ويعاقب عليه تارك هذا الأمر الربّاني..

وإزاء هذا لا نجد أيّ مبرّر لكلام الشيخ البوطي، ولا أعتقد بوجود أيّ شرف في محبّة قومه الذين آذاه الكثير منهم؛ فإذا سلّمنا بهذه الدعوة فسيأتي من يزعم أن نحبّ كلّ قوم بعث فيهم نبيء من أنبياء الله تعالى، مع أننا نعلم يقينا أنّ الله قد ذمّ أغلب هذه الأقوام، وعذّب الكثير منهم، ولم ينفعهم نسبهم ولم يشفع فيهم نبيئهم؛ لأنّ الله أجراها قاعدة عامّة دون أيّ استثناء لأيّ من الخلق ولو كان ابن أحبّ الأنبياء إليه، وفي هذا يقول الله تعالى على لسان رسوله مُحَمَّد ﷺ: "وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ، إِلاَّ مَنَ اَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"، (سورة الشعراء: 87- 90).

فلا فضل لقبيلة "قريش" وغيرها على غيرهم إلّا بالتقوى، كما نصّ الله تعالى: "يَآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَا وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمُ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ، (سورة الحجرات: 12)، والمؤمنون منهم فقط –وهم الصحابة الكرام– المعنيّون بالمحبّة دون غيرهم، وكيف لا وقد أثنى الله على مناصري رسوله ﷺ من أهل مكّة وأهل المدينة وكلّ من سار على دربهم من دون أيّ قيد أو شرط آخر؛ سواء أكان عرقيّا أو مذهبيّا، أو مكانيّا، أو زمانيّا، أو غير ذلك، وقال عن هذا التفضيل: "وَالسَّابِقُونَ الاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالاَنصَارِ وَالذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ، رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَالِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"، (سورة التوبة: 100).

وعليه فقبيلة رسولنا مُحَمَّد ﷺ المتميّزة بخصال متنوّعة، وأكثرَ الخلق من وصفهم؛ مدحا وتعليقا، فلا مسوّغ مطلقا في عصرنا أن ندعو إلى حبّهم، أو نقدّم الولاء لهم، أو نقرّب أحدهم –على فرض وجود بقيّة منهم– أو ندعو إلى كونه إماما على الآخرين، أو نجتنب الصواب في قراءة أحاديث الرسول ﷺ على غير سياقها، أو أن نحمّلها فوق ما تحتمل، استنادا إلى معطيات التمييز الذاتيّ على الآخر، ونغفل عن القراءة المجرّدة التي من مميّزاتها الأساسيّة ألّا يوجّه النصّ لفرقة أو طائفة أو جماعة دون أخرى، وبهذا نسلم من التحكّمات والمنزلقات في هذا الأمر الخطير، وبناء على ما مرّ نقترح هذه القراءة البسيطة للأحاديث حول الموضوع، لعلّها تقدم بديلا ناجحا لفهم الأحداث دون تعارض مع أيّ من مصادر التشريع الإسلاميّ، ولا يسيء إلى أيّ طرف من المسلمين، ولذلك سنستعرض أحاديث القرشيّة ونناقشها بقراءة منهجيّة فاعلة بإذن الله.

1– ورد في البخاري بالسند الصحيح عن الزهريّ، قال: كان مُحَمَّد بن جبير بن مطعم يحدّث أنّه بلغ معاوية، وهو عنده في وفد من قريش: أنّ عبد الله بن

عمرو بن العاص يحدّث أنّه سيكون ملك من قحطان، فغضب معاوية.

فقام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالا مِنْكُمْ يُحَدِّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ الله ، وَلا تُوثَرُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَالأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا.

فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلّا كَبَّهُ الله فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ"[1].

2- وورد في البخاري ومسلم عن ابن عمر، رضي الله عنهما، أنّ النبيّ ﷺ قال: "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان"[2].

وإذا أجرينا تحليلا للحديث الأوّل والثاني، نجد ما يأتي:

- اعترض معاوية على ابن عمرو لأنّ ابن عمرو نبّه الناس إلى أنّه من الممكن أن يكون المُلك في رجل من قحطان (اليمن)، مع أنّ ابن عمر [بن الخطاب] نفسه نسب الملك في الحديث الثاني إلى رجل من قريش، فالروايتان تظهران عند اجتماعهما عدم اختصاص قبيلة دون أخرى بالملك.

- يُحمل غضب معاوية على أنّ ابن عمرو نبّه الناس بملك القحطانيّ في موقف مجيء وفد لمبايعته بالملك، وكأنّ تذكير ابن عمرو إيّاه في ذلك الموطن يشكل عائقا، وبخاصّة وأنّ الناس في حيرة من يصلح لأن يتزعّمهم.

- الإقرار بنصّ الحديث كاملا بأنّه من الصحيح على شرط البخاريّ، فيه أكثر من إشكال، وعلى رأس ذلك غضب صحابيّ جليل على آخر مثله، ثمّ لمز

1) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب قريش، حديث: 3330.

2) المصدر نفسه، حديث: 3331؛ صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، حديث: 3480.

أحدهما الآخر بقوله: "أَنَّ رِجَالا مِنْكُمْ يُحَدِّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ الله"، وهذا أمر خطير جدّا، فكيف يفسّر؟

الجواب أنّه لا دليل لنا يثبت أنّ ما ورد في الحديث كلّه يلحقه نفس السند، وإنّما إلحاق السند بكلّ النصّ يأتي من بعض شرّاح الحديث في الغالب، في حين أنّ التّدقيق البحثيّ الدقيق يفترض أنّ النصّ التابع للسند ينتهي عند ذكر غضب معاوية، وما جاء بعده استطراد لا يلحقه سند الحديث، وتكملة ليست على شرط مخرج الحديث، ويؤكّد قولنا جملة من التوضيحات هي:

1- لا يوجد دليل يثبت أنّ مقصد البخاريّ إلحاق السند بكلّ ما كتبه من عبارات تحت مسمّى الحديث الواحد، لأنّ ترقيم الأحاديث وضبط بدايتها ونهايتها جاء من المتأخّرين كثيرا عن عهد الجمع، ومن هنا يقترح إعادة قراءة الأحاديث بقاعدة ضبط تحقيقيّ منهجيّ، معتمدا على نُسخ متعدّدة، مع إبراز بداية الحديث ونهايته التي يلحقها السند، والفصل بين النصّ الأصليّ، والاستطراد.

2- خطبة معاوية، وما جاء بعدها من حديث للرسول ﷺ، لا أثر للسند لهما من هذا الحديث، ومن ثمّ: لا يلحق لمز معاوية ابن عمرو، لأنّه يتعارض مع مقامهما وتربيتهما من قبل رسول الله ﷺ، رغم أنّ شارحا مثل ابن حجر لم ير بأسا بذلك، حينما قال معلّقا على كلام معاوية: "معاوية كان يراعي خاطر عمرو بن العاص، فما آثر أن ينصّ على تسمية ولده، بل نسب ذلك إلى رجال بطريق الإبهام، ومراده بذلك عبد الله بن عمرو ومن وقع منه التحديث بما يضاهي ذلك"، ويبدو لنا أنّ هذا لا يليق بابن عمرو، ورفع الاتهام عن ابن عمرو لا يكون إلّا بعدّ الكلام المتلفّظ به من معاوية لا سند له، وأتصوّر أنّ هذه النتيجة هي عين مقصد

البخاريّ ومن في عهده، لكن لما جاء المتأخّرون وعمّموا السند على كلّ النصّ، ولم يجعلوا حدّا لانتهائه أوقعهم في اللّبس، فشرعوا في التبرير والبحث عن المخرج.

4- لقد وظف ابن حجر ما ذكرته -عدم إلحاق **مفعول السند** على كل النصّ- على طرف الحديث، إذ تحدّث عن كلام عبد الله بن عمرو الذي فيه: "يحدث أنّه سيكون ملك من قحطان"، فقال عنه: "إذ لو رفعه لم يتمّ نفي معاوية أنّ ذلك لا يؤثر عن رسول الله ﷺ"، فاقتراحه عدم رفع العبارة يدلّ على استساغة القول بأنّ السند ليس بالضرورة يلحق كلّما ورد تحت رقم الحديث.

5- شرح ابن حجر عبارة من الحديث الذي نعتقد أنّه لا يلحقه السند (فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلا كَبَّهُ الله فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ")، بما يأتي: "قوله: فإنّي سمعت" [أي:] لما أنكرَ [معاوية] وحذّر أراد أن يبيّن مستنده في ذلك". فحسب ابن حجر إنّ معاوية هو الذي بيّن مستنده لما أنكر على ابن عمرو، والتبيان من معاوية لا يستلزم بالمرّة أن ما قاله مرتبط بما سبق من حيث التحديث، ولا من حيث السند، فحدود النصّ التابع للسند ينتهي عند فقرة غضب معاوية، وأمّا استدلاله بالخطبة، وبالحديث المشترط للقرشيّة، فيتطلّب سندا جديدا، ولا وجود له.

6- نتصوّر -بناء على ما مرّ- أنّ البخاريّ لا يقصد أنّ السند يلحق كلّ الحوار الدائر بين الأطراف، وإنّما جاء هذا الفهم من الشرّاح، وممّا نحن المعاصرين، ممّا يتطلّب إعادة النّظر في قراءة الأحاديث بتطبيق قاعدة تحديد النصّ التابع للسند.

وفائدة هذا التحليل للحديث الأوّل سيجعل ديباجة خطبة معاوية، والحديث المنسوب إلى الرسولﷺ، لا سند صحيح لهما على شرط البخاريّ، وبالتالي فلا دليل على **إلزاميّة القرشيّة** من هذا الحديث مطلقا.

– أمّا إذا عدنا إلى نصّ الحديث الثاني الصّحيح: "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان"، ونصّ الأحاديث بعبارة: "الأيمّة من قريش"[1] نجدهما لا يُلحقان وعيدا بمن استخلف غير القرشيّ، ولا يقرّان وعيدا لمن اجتهد ونسب الحكم إلى غيرهم، ولا يصرّحان أنّ الفضل لا يكون إلّا لقرشيّ، وإنّما المراد من الحديثين أنّ القرشيّة من أسباب الفضل والتقدّم كغيرها من أسباب الفضل الأخرى كالورع والحكمة وغيرهما من الشروط المحتاج إليها في تسيير الحكم العامّ، فإذا توفّر الفضل والحكمة والعلم لقرشيّ كانت القرشيّة مرجّحة له على الآخر، أمّا إذا لم يكن حاكما بالعدل وغير مقسط فإنّ الأدلّة القطعيّة الثابتة من القرآن والسنّة كحديث: "إنّ هذا الأمر في قريش ما داموا إذا استرحموا رحموا, وإذا ما حكموا عدلوا, وإذا ما قسموا أقسطوا, فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين, لا يقبل منه صرف ولا عدل"[2]، تمنعه من تولّي المنصب، والاعتزاز بقوميّته على غيره.

وكخلاصة لهذه الدراسة الحديثيّة نتصوّر –والله أعلم– أن لا بدّ من إقرار بقاعدة تحديد النصّ التابع للسند، وبخاصّة في النصّ الذي فيه أكثر من فقرة، أو يحتوي على أكثر من جملة، أو يضمّ أكثر من حوار، ثمّ البحث عن سند آخر

1) الحاكم: المستدرك، كتاب معرفة الصحابة ﷺ، ذكر فضائل قريش، حديث: 7024.

2) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الفتن، ما ذكر في عثمان، حديث: 37032.

لكلّ فقرة، لأنّ السند يلحق النصّ الأوّل، وما ورد تبعا، فليس بالضرورة أن يكون له نفس حكم الجزء السابق عليه. ونتصوّر أيضا أن هذه قاعدة جليلة بنى عليها مخرّجو الأحاديث طريقة عرضهم للنصوص، لكن من جاء بعدهم لم يراع هذا الأمر، فصار يلحق تبعات الأحاديث التي لا سند لها بما ورد سابقا، وغالبا ما تكون هذه التبعات سببا لوقوع التناقضات مع الأحاديث الأخرى، أو سببا لتعسّر الجمع بين النصوص والآيات إلّا بتكلّف أو تأويل، ونعتقد إزاء ذلك أنّه لو وظّف المسلمون هذه القاعدة المنبنية على تحقيق نصّ المخطوط جيّدا بعد تتبّع النسخ الخطّية، وإظهار أثر السند الذي يلحق الحديث، من النصّ التابع له، ووضع نقاط الانتهاء في موضعها الصحيح، لانكشف الكثير ممّا خفي على الناس، ولرفعت الكلفة عن الأمّة الإسلاميّة، ولسلم الناس من القيل والقال، ولتجنّبوا الصخب فيما يختلفون حوله الآن، وبالأخصّ في المجال العقديّ والفقهيّ، أو غيرهما، ولسهُل عليهم التفاهم مع بعضهم، وإزالة الفرقة والشحناء بينهم، والله نسأل أن يعيننا مستقبلا على إظهار هذا الأمر تطبيقا عمليّا بإذن الله.

وقبل أن نغادر مصرح التعليق على قاعدة قراءة الحديث ينبغي الإشارة أيضا إلى أنّ هناك فرقا كبيرا جدّا بين شرح القدامى القريبين من مخرّجي الأحاديث، وبين الشرّاح المتأخّرين عنهم، وكتمثيل واقعيّ توجد طريقة شرح ابن بطّال للبخاري، وهو الشارح الأوّل فيما أعلم، غير الشارح الثاني "ابن حجر" الموسّع في شرحه والمتأخّر زمنا عن الأوّل؛ فالأوّل يكتفي بشرح المفردات، وعدم التشديد على استخراج أحكام يقينيّة من النصّ، لأنّ للنصّ عنده مستويات متعدّدة؛ منه ما اتّصل سنده، ومنه ما لا يلحقه السند، بخلاف الثاني ومن جاء بعده، فيعتبرون كل ذلك له

نفس الدرجة من الصحّة، فيجتهد في استنباط أحكام يتصوّر أنّها إلزاميّة، ويعمل على استخراج استنتاجات قد تكون في حاجة إلى مراجعة بالمفهوم السابق المعروض[1].

وإسقاطا لما درس على القضيّة الخامسة "دعوة بعض كتاب السيرة إلى محبّة قوم رسول ﷺ"، نخلص إلى أنّ محبّة قوم لأجل انتماء الرسول ﷺ إليهم لا دليل شرعيّا لها، لأنّ التقوى والإيمان بالله والعمل الصالح هي الشروط اليقينيّة الثابتة للارتقاء درجات عند العليّ القدير.

1) هذا التوجه الجديد في الطرح الحديثي عطلني كثيرا من تقديم بحثي للدكتوراه، أسأل الله أن يعيني على إخراجه إن شاء الله.

القضية السادسة: قصة بحيرى الراهب مع الرسول ﷺ

لما بلغ رسول الله ﷺ اثنتى عشرة سنة، وقيل: وشهرين وعشرة أيام، ارتحل به عمّه أبو طالب تاجرًا إلى الشام، حتّى وصل إلى بُصْرَى[1]، وكان في هذا البلد راهب عُرف بِبَحِيرَى، واسمه فيما يقال: جرجيس[2]، حدثت معه قصّة ظريفة، نرغب أن نستعرضها ثمّ نقوم بتحليل معطياتها.

روى الترمذي أنّ أبا موسى الأشعري قَالَ: "خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ، وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ الرَّاهِبُ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ.

قَالَ: فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ الرَّاهِبُ، حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَبْعَثُهُ الله رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ، ما علمك؟

فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنْ الْعَقَبَةِ، لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ. وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ. [وإنا نجده في كتبنا].

ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الْإِبِلِ، قَالَ:

---

1) مدينة في الشام، تبعد عن دمشق بنحو 140 كلم، وكانت مدينة تابعة للرومان قديما؛ موقع وكيبيديا، ar.wikipedia.org

2) الحلبي: السيرة الحلبية، 1/ 193؛ المباركفوري: الرحيق المختوم، 49.

أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ. فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ إِذَا رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ. فَالْتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ، وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ، بُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا.

فَقَالَ: هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ، قَالُوا: إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا.

قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟

قَالُوا: لَا. قَالَ: فَبَايَعُوهُ، وَأَقَامُوا مَعَهُ.

قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ. فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنْ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ"[1].

وذكر المباركفوري أنّ الراهب وصّى عمّه أبا طالبا ألّا يُقدم به إلى الشام؛ خوفًا عليه من اليهود، فردّه عمّه أبو طالب مع بعض غلمانه إلى مكّة[2].

ويجدر بنا أن نعلم أنّه توجّهت إلى هذه الحادثة عدّة اعتراضات، سنعرضها، ونحلّل إزاء ذلك بعض تفاصيل القصّة.

---

1) سنن الترمذي، أبواب المناقب عن رسول الله، باب ما جاء في بدء نبوة النبي، حديث: 3638؛ وعلق الترمذي على الحديث، فقال: "حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه".

2) المباركفوري: الرحيق المختوم، 49.

بيان ما دار حول القصّة من الإشكالات:

دافع عن صحّة نسبة القصّة الشيخ الألباني وقال إنّها صحيحة، وأثنى على سندها، لأنّ من رواتها أبو موسى الأشعري، لكنّ المتتبّع لحيثيّات القصّة وما قيل حولها، سيجزم -بالتأكيد- بغير النتيجة التي توصّل إليها الشيخ الألباني، ومن ذلك ما يأتي:

- الحديث موقوف على أبي موسى الأشعري، وهو من مرسل الصحابيّ، لأنّ أبا موسى الأشعريّ لا بدّ أنّه سمعه من صحابيّ آخر، ذلك لأنّه قدم المدينة سنة سبع للهجرة.

- لم ترد القصّة في الكتب الصحاح التي لاقت رواجا عند أهل فنّ الحديث، مثل: البخاري ومسلم، وغيرهما.

- لم ترو القصّة متّصلة إلّا من طريق أبي نوح عبد الرحمن بن غزوان الخزاعي عند الترمذي، وهذا الرجل ثقة، وله بعض الأفراد المنكرة[1]. ورويت في كتب السيرة دون سند[2].

- في متن القصّة اضطراب بين الروايات، واختلافات متعدّدة تؤثّر في

---

1) ترجم له ابن حجر وقال: "ذكره ابن حبان في الثقات، وقال كان يخطئ"، ثم نقل أن الدار قطني قال فيه: "ثقة وله أفراد"؛ انظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب، ترجمة: 498؛ أما الذهبي فقال عنه في سير أعلام النبلاء: "كان من علماء الحديث، وله ما ينكر".

وتجدر الإشارة إلى أن العبارة الواردة بين معكوفين في النص السابق [وإنا نجده في كتبنا]، هكذا عثرت عليها في كتاب: الرحيق المختوم، 49.

2) أسندها ابن هشام إلى ابن إسحاق، انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، 1/ 180.

مصداقيّتها من ذلك[1]:

قيل: كان بحيرا يهوديّا، وقيل: كان نصرانيّا. وفي رواية أنّ الراهب مجهول الاسم، وفي أخرى يذكر اسمه.

وقيل: إنّ الرحلة كانت مع عمّه، وفي رواية أخرى ذكرت أنّها مع أبي بكر، مع أنّ هذا الأخير أصغر من الرسول ﷺ، وتذكر رواية أخرى أنّه كان مع بلال[2]، وهذا لم يكن موجودا بعد في الساحة.

اختلفت الروايات في سنّه التي سافر فيها، ففي بعض الروايات تحذير لعمّه من اليهود، وفي أخرى تحذير له من النصارى.

– وإذا لم نعتبر بكلّ ما سبق من الاضطرابات، فإنّ في متن القصّة إشكالات الانسجام بين العبارات؛ إذ كيف يعقل الحديث عن ميل فَيْء الشجرة مع ذكر أنّ هناك غمامة كانت تُظلّ الرسول ﷺ؟ وكذلك إذا أقررنا بالقصّة فإنّه يفترض أن تكون سببا لمحاججة الرسول ﷺ عمّه عند إعراضه عن الدخول في الإسلام، فيقول له مثلا: ألم تذكر ما قاله لي بحيرا الراهب في رحلتنا إلى الشام؟ ولما لم يقع هذا أو شبيهه، دلّ ذلك على أنّها لم تكن ثابتة، ولم تكن حقيقيّة.

– ما يثير في القصّة أنّ المستشرقين اتّخذوها سببا لادّعاء أنّ الرسول ﷺ تلقّى تعليم دينه من الراهب المسيحيّ؛ فهذا مثلا المستشرق بودلي (ت: 1970م)، يحكي أنّ في سوق بُصرى ديرا للرهبان النسطوريّين المسيحيّين، التقى فيه بحيرا

---

1) حسام عبد الله حمشو: السيرة النبوية، من خلال كتب السنة، ص 35.

2) جزم ابن القيم باستحالة كون بلال مع رسول الله ﷺ أنذاك فقال: "ووقع في كتاب الترمذي وغيره أنه بعث معه بلالاً، وهو من الغلط الواضح، فإن بلالاً إذ ذاك لعله لم يكن موجوداً، وإن كان، فلم يكن مع عمه، ولا مع أبي بكر"؛ انظر: ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ص 1/ 76، 77.

الراهب بالرسول ﷺ الطفل، حيث راح الراهب يحدّث العربي الصغير ويخبره بعقيدة عيسى، ويعلّق المستشرق بودلي بأنّ ذلك سيكون له أثر على أفكار مُحَمَّد فيما بعد عند الدعوة إلى الدين الجديد، فيقول: "وما كان الراهب المؤثّر الجديد الوحيد في مُحَمَّد في ذلك الوقت"[1].

– بناء على ما مرّ، وما يحمله السند من اضطرابات فقد حكم الذهبيّ بنكارة ألفاظ الرواية[2]. ونحن بدورنا نُعمل القاعدة التي استنتجناها في القضيّة السابقة "**حدود النصّ التابع للسند**"، فنجد أنّ سند حديث الترمذي لا يتعلّق إلّا ببداية القصة، وينتهي قبل بداية أوّل مقول، "فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ"، وما جاء بعده "قَالَ: فَهُمْ يَخُلُّونَ رِحَالَهُمْ... قَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَبْعَثُهُ الله رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"، فكلّ ذلك لا يلحقه السند.

ويؤيّد نظرتنا أنّ ما سبق من المعلومات (وأثبتنا فيه السند) واضح ليس فيه إشكال، كخروجهم إلى الشام رفقة غلام صغير، والتقائهم براهب، فكلّ هذا ليس بالأمر الغريب، لكن أن يُنقل كلام خطير فيه تنبّؤ راهب بنبوّة صبيّ –قبل أكثر من ربع قرن من الحدث– أمر في غاية الغرابة، ولا يقلّ الأمر عجبا أن تحدِّث الرواية عن سجود الأشجار لطفل سيصير نبيئا بعد أمد، مع أنّ النبيء ﷺ نفسه سيقرّ أنّ الخلائق لا يحقّ لها أن تسجد إلّا لربّ واحد لا شريك له. ولأجل هذا وغيره نعتبر –دون هوادة– أنّ كلّ ما ورد بعد الفقرة الأولى، وبعد كلمة قال الثانية،

1) ر.ف.بُودلي: الرسول حياة مُحَمَّد، ترجمة : مُحَمَّد مُحَمَّد فرج، وعبد الحميد جودة السحار، ص 39.

2) الذهبي: تاريخ الإسلام، 1/ 57؛ وقال عن الحديث: "ورواه الناس عن قُرَاد، وحسنه الترمذي، وهو حديث منكر جدا".

استطراد لا يتعلّق به سند الحديث مطلقا، وفق القاعدة المقررة المطّردة في القراءة الصحيحة لأحاديث رسول الله ﷺ التي جمعها علماء السنّة حفظهم الله.

القضية السابعة: التردي من شواهق الجبال بسبب انقطاع الوحي

روى البخاري، قال الزهري: فأخبرني عروة، عن عائشة ﵂، أنّها قالت:

"أوّل ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء فيتحنّث فيه -وهو التعبّد- الليالي ذوات العدد، ويتزوّد لذلك، ثمّ يرجع إلى خديجة فتزوّده لمثلها، حتّى فجأه الحقّ وهو في غار حراء.

فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، فقال له النبي ﷺ: "فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثالثة حتّى بلغ منّي الجهد، ثمّ أرسلني فقال: اقرأ باسم ربّك الذي خلق -حتّى بلغ- علم الإنسان ما لم يعلم".

فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: "زمّلوني زمّلوني"، فزمّلوه حتّى ذهب عنه الرّوع. فقال: "يا خديجة، ما لي"، وأخبرها الخبر، وقال: "قد خشيت على نفسي"؟

فقالت له: كلّا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتُقري الضيف، وتعين على نوائب الحقّ.

ثمّ انطلقت به خديجة حتّى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ وهو ابن عمّ خديجة أخو أبيها، وكان امرأ تنصّر في الجاهليّة، وكان يكتب الكتاب العربيّ، فيكتب بالعربيّة من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا

كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عمّ، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى.

فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، أكون حيّا حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: "أَوَمُخرجيّ هم"، فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قطّ بمثل ما جئت به إلّا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزّرا، ثمّ لم ينشب ورقة أن توفّي.

وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **-فِيمَا بَلَغَنَا-** حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ.

فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ: إِنَّكَ رَسُولُ الله حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ.

فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ

قال ابن عبّاس: فالق الإصباح: "ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل"[1].

استشكل البعض قضيّة التردّي من شواهق الجبال، وكيف يكون الرسول ﷺ داعيا إلى الانتحار، وكيف يُسجل هذا في حديث صحيح على شرط البخاري، وهو اعتراض وجيه وله دلالته، إلّا أنّ الجواب عليه له جانبان هما:

1- ما ورد في الحديث الطويل السابق من وصف للوحي الأوّل الذي تلقّاه الرسول ﷺ في 17 من رمضان ليس كلّه من كلام عائشة رضي الله عنها الموصول الصحيح،

1) صحيح البخاري: كتاب التعبير: باب أول ما بدئ به رسول الله ، حديث: 6600.

ذلك لأنّه قبيل الحديث عن تردّي الرسول ﷺ من شواهق الجبال وردت العبارة التالية: "وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **–فِيمَا بَلَغَنَا–** حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ". والعبارة فيما بلغنا، توحي أنّ الضمير لا يعود إلى الراوي عائشة ﵂، وإنّما من كلام الزهري، فيصير الحديث بعد هذه اللفظة ليس له حكم المرفوع، وليس من وصف الصحابيّة، وإنّما هي من بلاغات الزهري التابعيّ الذي لم يدرك الحادثة، ولا ذكر أنّ أحدا من الصحابة حدّثه بها. وعليه فالعبارة مقطوعة الإسناد، ولو أنّها في البخاري.

وبناء على ما ذكرنا فالعبارة المتعلّقة بالتردّي من شواهق الجبال لا تأخذ حكم الحديث الصحيح على شرط البخاري، ولا تعدّ موصولة، وهي منقولة بدون تثبّت مؤكّد، وبما أنّها تضمّ إشكالا عويصا لا يتقبّله مؤمن سليم الطويّة، فلا يُعتدّ بها مطلقا، وتُرفض أن تنسب إلى الرسول ﷺ بأيّ وجه كان.

ويؤيّد هذا التحليل قول ابن حجر عن الموضوع: "ثمّ إنّ القائل –فيما بَلَغَنا– هو الزهري، ومعنى الكلام: أنّ في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصّة. وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً، وقال الكرماني: هذا هو الظاهر"[1]. ومع ورود القصّة في روايات أخرى، ولو بدون التصريح ببلاغ الزهري، إلّا أنّ علماء الحديث المعاصرين تعقبّوها فوجدوها لا ترقى للاحتجاج بها[2].

2– عند استعمالنا للقاعدة الحديثية التي مفادها "**تحديد النصّ التابع**

---

1) ابن حجر: فتح الباري، ص 12/ 359.

2) موقع الإسلام: سؤال وجواب، للشيخ مُحَمَّد صالح المنجد، عنوان الفتوى: روايات همّ النبي ﷺ بالانتحار لا تصح لا سنداً ولا متناً، رقم: 152611.

للسند"، سنجد أنّ النصّ الأصليّ المرفوع ينتهي في الحقيقة عند العبارة التالية: "حتّى فجأه الحقّ وهو في غار حراء"، وما بعده كلّه استطراد لا يلحق بكلام عائشة الموصول الصحيح، الذي هو على شرط البخاري، لأنّه يفترض أن يكون لكلّ نقل سنده الخاصّ به، ولا يصحّ أقوال متعدّدة تابعة لسند واحد.

وأتصوّر –والله أعلم– أنّ العمل بالقاعدة التي أقررناها سترفع أكثر من إشكال في هذا الحديث، مثل:

– تتبّع طريقة حديث جبريل مع الرسول ﷺ، علما عن عدم وجود نصوص متواترة أو صحيحة عن كيفية تواصل أمين الوحي جبريل عليه السلام مع الأنبياء الآخرين عليهم السلام، فكلّ ما نعلمه عن جبريل عليه السلام أنّه أمين وحي ربّ العالمين، من دون أن نعلم الطريقة والتفاصيل في نقله للنبي مُحَمَّد ﷺ أو لمن سبقه من الأنبياء عليهم السلام، لأنّ هذا من الغيب.

– الجواب على أميّة الرسول ﷺ من عدمها.

– اعتماده على نصرانيّ في أمر معقّد، ورقة بن نوفل، وتجنّب ما أثير في الأمر من إشكالات تحوم حول تعلّمه على يديه، كما أثارها صاحب الاسم المستعار: أبو موسى الحريري في كتابه "القسّ ونبيّ"[1].

– ومن نافلة القول أن نتحدّث وفق القاعدة المقرّرة عن التردّي من شواهق الجبال، وعن بلاغ الزهري في الحديث، لأنّ القضيّة جاءت متأخّرة عن النصّ الأصلي الموصول، ووردت ضمن النصّ الذي لا يتبعه السند الذي يشترطه البخاري في كتابه القيّم، والله أعلم.

1) أبو موسى الحريري: قس ونبي: بحث في نشأة الإسلام. (كله).

القضية الثامنة: التسمية بعام الحزن

1- الأحداث العصيبة في السنة العاشرة من النبوة:

كتب الله أن يختبر عزيمة نبيئه مُحَمَّد ﷺ بعدّة ابتلاءات ومصائب شديدة، لينصع جوهر نفسيّته، وليربطه بربّه تعالى وحده، ويزيل عنه كلّ أسباب التعلّق بالمؤازرة الدنيويّة مع مشروعيّتها، لكن من أراد الله له رفعة علِيّة فوق كلّ رفعة، ومن أعدّه ليحمل مشعل هداية العالمين يفترض أن يمرّ بصعاب تنوء بحملها الجبال، ولا يقدر على تحمّلها بسهولة إلّا من أوتي حظّا عظيما وصبرا جميلا.

والحمد لله، فإنّ نبيئنا مُحَمَّدا ﷺ الذي جعله قدوتنا في السرّاء والضرّاء؛ نستأنس بصبره العظيم، ونتشجّع بجهاده المبارك في الحياة، دون أيّ احتباس في أمر من مصائب الدنيا؛ موت أهل، وفقدان ابن عزيز، وطلاق ابنة ظلما وعدوانا، واضطهاد القوم، فكلّ هذا مرّ على الرسول ﷺ وحقّق فيه نجاحا باهرا، وأدرك حقيقة ربّه الحيّ الدائم الذي لا يموت، وتيقّن يقينا واقعيّا لا مراء فيه ولا خدش أنّ كلّ أمر هو من الله وإليه يعود الأمر وحده، وأنّه المشتكى إليه، والملجأ، والمعين.

لكن مع نصاعة ردّ فعل رسول الله ﷺ لمجابهة العواصف، وثباته على نهج الأنبياء عليهم السلام الذين سبقوه في السرّاء والضرّاء، عملا بمقتضى قوله تعالى: "أُوْلَئِكَ الذِينَ هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ"، (سورة الأنعام: 90). فقد وردت عبارة اشتهرت على ألسنة الناس، وأطلقت على الأحداث المتتابعة بعد السنة العاشرة للنبوّة، فرغبنا أن نحلّل مصدر تسمية هذه العبارة، وندرس ما أطلقه كتّاب السيرة لأحداث وفاة عمّه ثمّ زوجه، ثمّ واقعة الطائف الأليمة بعد ذلك، نظرا لأنّ

للتسمية أثرا خاصّا في نفوس متتبّعي السيرة النبويّة الشريفة، هذا ما سنناقشه إن شاء الله في هذه القضيّة.

2- وفاة عمّ الرسول ﷺ أبي طالب:

أبو طالب رجل ضحّى كثيرا من أجل الرسول ﷺ، وكانت بينهما علاقة حميميّة، بدأت إثر كفالة العمّ لابن أخيه بعد وفاة أهله جميعا: والده، وأمّه، ثمّ جده، فصار حِبَّ عمّه والعزيز لديه، ودامت العشرة بينهما أزيد من أربعين سنة، وكانت تتّسم بالاحترام والتقدير، ومعونة أحدهما للآخر، فالعمّ يمنع عن ابن أخيه إيذاءات قريش، نظرا لمكانته عند قومه، وابن الأخ يدعو عمّه إلى الإيمان والهداية، مع أنّ الهادي الله وحده، لقوله تعالى: إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنَ اَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَنْ يَّشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ، (سورة القصص: 52). فما قراءة ما ورد من حديث بينهما عند وفاة العمّ؟ وما أثر الأمر على حياة الرسول ﷺ؟

وردت في السنّة النبويّة عدة أحاديث حول الموضوع، هذه أهمّها:

1- عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه أنّه أخبره: أنّه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: "يا عمّ، قل: لا إله إلّا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله".

فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أميّة: يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتّى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم: هو على ملّة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلّا الله،

فقال رسول الله ﷺ: "أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أنْهَ عنك"، فأنزل الله تعالى فيه: ما كان للنبيّ الآية[1].

2- عن عبد الله بن الحارث، قال: سمعت العبّاس، يقول: قلت: يا رسول الله، إنّ أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: "نعم.

وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح".

وحدّثنيه مُحَمَّد بن حاتم، حدّثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، قال: حدّثني عبد الملك بن عمير، قال: حدّثني عبد الله بن الحارث، قال: أخبرني العبّاس بن عبد المطّلب ح، وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن سفيان، بهذا الإسناد عن النبي ﷺ بنحو حديث أبي عوانة[2].

3- عن العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنه، قال للنبيّ ﷺ: ما أغنيتَ عن عمّك، فإنّه كان يحوطك ويغضب لك؟

قال: "هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا، لكان في الدرَك الأسفل من النار"[3].

فالظاهر من الأحاديث الواردة حول عمّ الرسول ﷺ تشير إلى جزم مطلق للنبيء بعذاب عمّه الذي كان له مربّيا، وحصنا منيعا، في حين أنّ الرسول ﷺ ليس إلّا مبلّغا عن ربّه، ولا نرى ضرورة أن يكلّف نفسه الإجابة القاسية للناس عن مصير عمّه ولا غيره، وذلك لعدّة أسباب، لعلّ بعضها أنّه غير مكلّف عن

1) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، حديث: 1306.

2) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه، حديث: 335.

3) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، حديث: 3692.

الحديث عن مصير الناس، ثمّ إنّ تخصيص عمّه بالنار كأنّه تشفٍّ في حاله، مع علمنا بحبّه الشديد له، حتّى شكّل الحدث -حسب كتّاب السيرة- سنفونية الحزن، ولكن إذا أعدنا قراءة النصوص بالقاعدة المقرّرة في كتابنا هذا، والتي استخلصناها والحمد لله من قراءة كمّ هائل من الأحاديث ومن مختلف المواضيع، سنصل إلى نتيجة تأخذ بصحّة الأحاديث، ولا تقف إشكالا مع ما ورد في شأن الرسول ﷺ من بشريّته، ومن جهله بالغيب إلّا ما أطلعه عليه ربّه، وإسقاطا للقاعدة المقرّرة على الأحاديث نصل إلى ما يأتي.

ينتهي الحديث الأوّل عند طلب رسول الله ﷺ لأبي طالب بالتصريح بكلمة التوحيد عند حضور وجهاء قريش، لتكون له شاهدا عند ربّه في إذلال طواغيت الكفر، بدليل قوله ﷺ: "كلمة أشهد لك بها عند الله". وما جاء من الحديث الدائر في الدار، فليس له حكم الموصول، ويتطلّب سندا جديدا، ومادام الحوار غير متوفّر على السند، فليس لنا حاجة فيما نسب إلى الكفرة، ولا فيما يكون سببا لنزول آية الهداية، مادام معناها واضح وجليّ.

أمّا الحديث الثاني فينتهي عند إجابة الرسول ﷺ على السؤال الذي عرض عليه هل كان يمنعه من الأذى، فناسب الجواب: نعم. وكلّ إضافة تتطلّب سؤالا آخر، وتحتاج إلى سند جديد، وهذا ما لا يتوفّر في هذا الحديث، وبخاصّة وأنّ ما جاء بعد نعم كان حكما قاسيا، ولا يتناسب والسؤال مطلقا، ذلك أنّ من سئل وقيل له: هل عمّك كان ينصرك ويحبّك، فإمّا أن يجيب، بنعم أو لا، ولا نرى من الكياسة أن يتحدّث المجيب فوق ذلك، فيبيّن أنّ عمّه ظالم ومفسد، وبخاصّة إن كان قد أغدق عليه بحبّ عميق طول عشرته في الحياة، وكيف إذا كان السائل

حبيب الرحمن، ومرسولا رحمة للعالمين.

وبعد هذا التوضيح أيصحّ أن نعدّ "وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح" من الحديث الأصليّ، أم تكملة له، وماذا يضرّنا –نحن المعاصرين– أن نأخذ بالظاهر؟ ونعدّ الجواب بنعم، هو أصل الحديث، وما جاء بعده ليس له حكم المرفوع الموصول، فلا شيء سيتغيّر في الدين، ولا شيء سيضرّ نبيئنا، والله أعلم.

عملا بمقتضى الحديثين السابقين فإنّ نهاية الحديث الثالث ستكون عند نهاية السؤال، وأمّا الجواب فليس له سند، وغير متّصل، وبهذا نزيل عن أذهاننا أنّ الحديث هو الكمّ الهائل من الكلمات والعبارات المنقولة بين المتحاورين، فقد يكون السؤال هو وحده الذي عنى الراوي إثباته بالسند، ثمّ يُشفع بإجابة غير ملحقة به، وهذا كثير، وهو أمر يزيد في ثراء الشريعة الإسلاميّة، ويوسّع من مدارك الاجتهاد، ويقلّص مظانّ الاختلافات المتكرّرة بين نصوص الأحاديث، وبينها وبين الآيات، وبينها وبين الواقع، وهو ما يفتح المجال واسعا لتفاهم المسلمين ونبذ خلافاتهم الواردة في أحاديث لا يلحق كثيرا من عباراته سند موصول، ولا يتطلّب الأمر في نظرنا غير إعادة التحقيق الجيّد للنصوص، وإدراك موطن النهاية التي عناها مخرّج الحديث في زمانه.

وبغضّ النظر عن موقف القارئ ممّا ذكرناه من إعمال القاعدة في هذه الأحاديث، فإنّ الكلّ متّفق على أنّ موت عمّه يعدّ فاجعة شديدة على نفسيّة الرسول ﷺ، لكنّ السؤال المطروح: هل ارتقت الفاجعة أن تشكّل حزنا عميقا حتّى تجعل تلك السنة تسمّى بـ: "عام الحزن"؟؛ إطلاقا مقصودا أم مجازا، كإطلاق

واقعة هدم الكعبة بعام الفيل. قبل الفصل في الأمر نكمل بقيّة الأحداث التي شكّلت التسمية، لنخرج بنتيجة إجماليّة شافية إن شاء الله.

3–وفاة زوجة الرسول ﷺ خديجة رحمها الله تعالى:

توفّيت أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد ﵂ التي كانت من نعم الله الجليلة على رسول الله ﷺ، في عِشرة طيّبة هادئة دامت خمسا وعشرين سنة[1]، يقول عنها رسول الله ﷺ بعد وفاتها:

– "بشّروا خديجة ببيت من الجنّة من قصب، لا صخب فيه، ولا نصب"[2].

– "قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي الله عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ[3].

ويذكر المباركفوري: أنّ وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوّة، ولها خمس وستّون (65) سنة على أشهر الأقوال، ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره. وكان ذلك بعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو ثلاثة أشهر، على اختلاف القولين[4].

لا شكّ أنّ لوفاة الزوجة منغصة في نفسيّة الزوج، وكيف بمن كان في مرتبة خديجة بنت خويلد، تواسيه منذ أوّل لحظة كلّف فيها بالوحي، والزوج من طراز

---

1) المباركفوري: الرحيق المختوم، 104.

2) صحيح البخاري: كتاب الحج، أبواب العمرة، باب متى يحل المعتمر، حديث: 1709.

3) مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، الملحق المستدرك من مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة ﵂، حديث: 24339.

4) المباركفوري: الرحيق المختوم، 104.

الرؤوف الرحيم بزوجته، ويقدُرها حقّ قدرها، فمن المؤكّد أن سيكون الأمر فظيعا في نفسيّة رسول الله ﷺ بفراقه حبيبته هذه، لكن هل هذا الفراق يسمح لنا بإطلاق عبارة: "عام الحزن".

4- إشكاليّة التسمية بعام الحزن:

كان لوفاة العمّ أبي طالب، الذي كان يخفّف عن الرسول ﷺ شدّة الدعوة خارج الدار، ولوفاة الزوجة المباركة رضي الله عنها المواسية له داخل الدار، أثر بليغ وشرخ عظيم في نفسية الرسول ﷺ، وهو البشر الذي يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، لكن هل هذا مسوغ لأن يقال: "لأجل توالي مثل هذه الآلام في هذا العام، سمّاه رسول الله ﷺ عام الحزن"[1]؟

إنّ الجواب سنجده في الوتيرة التي ميّزت أفعال الرسول ﷺ بعد الحادثتين المذكورتين، وكيف كان يتعامل مع الناس وما هو واقعه بعد الحدثين، هذا ما سنعرضه فيما يأتي:

- اتّفقت كل كتب السيرة على أنّ الرسول ﷺ واصل دعوته ونشاطه بنفس الكيفيّة أو أكثر، ولم تُثنِه عنه هاتان الفاجعتان، ولم يستكن إلى النفس والجزع بالحال، لإدراكه ﷺ أنّ الأمر بيد الله عزّ وجلّ يتصرّف في ملكه كيفما يشاء.

- من بين أنشطة الرسول ﷺ بعد الفاجعتين سفره خارج مكّة، وهي أوّل خطوة له منذ مجيء الوحي؛ إذ توجّه إلى الطائف في شوال[2] بعد شهر من وفاة

1) المرجع نفسه، 105.

2) المرجع نفسه، 113.

زوجه، ممّا يبيّن أنّ الأحداث الخاصّة لم تكن لتوقف نشاط نبيّ باع نفسه لله. ومع أنّ نتائج السفريّة كانت قاسية جدّا على رسول ﷺ نظرا لما تعرض فيها من الإهانة من قبَل أهالي البلد، لكن ذلك لم يوقفه عن الحركة، ولم يكن الحزن ليتحكّم في نشاطه.

– من بين ما يظهر الحيويّة وعدم الاستكانة للحزن كون الرسول ﷺ سارع إلى اختيار شريكة حياة جديدة اسمها "سودة بنت زمعة" رضي الله عنها، ورجّح المباركفوري أنّ ذلك تمّ في شوال من السنة 10 للنبوّة[1]، ليزيل كلّ قول بمفعول الحزن في نفس الرسول ﷺ، ويبدّد هذا المصطلح الدخيل على السيرة، وعلى حياة المرموقين من الأنبياء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

وإذا أردنا أن نبحث عن التسمية في مصادر الإسلام، وبالأخصّ كتب السيرة المتقدّمة، فلا نجد لها ذكرا، وحسب بحثنا المتواضع فأوّل من ذكرها هو: بدر الدين العيني (855هـ) في شرحه للبخاري[2]، وكذا القسطلاني (ت: 923هـ) في كتابه المواهب اللدنيّة[3]، وإقرارا بحداثة هذه التسمية في المصادر الإسلاميّة نستشهد بما قاله الشيخ الألباني في القضيّة؛ حيث قال في كتابه "دفاع عن الحديث النبويّ": "فإني بعد مزيد البحث عنه لم أقف عليه، أي مسنداً"[4].

ويرجع سبب رفضنا الكلّي لهذه التسمية إلى تجنّب اتّخاذها ذريعة من بعض

---

1) المرجع نفسه، 105.

2) بدر الدين العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 13/ 48.

3) القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ص 1/ 262؛ ثم لحقه الحلبي: السيرة الحلبية، 3/ 498؛ والمباركفوري: الرحيق المختوم: 103؛ والبوطي: فقه السيرة، 97.

4) الألباني: دفاع عن الحديث النبوي، 18.

ضعفاء النفوس؛ فيتذرعون بالحزن عند مكروب بأنّ رسولهم قد سمّى ما حدث لهم ذات يوم، بعام الحزن، وما كان الأمر صحيحا، وما حقّ له أن يحزن أكثر مما شرعه هو بنفسه للمسلمين حينما قال: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي.

إِلّا أَذْهَبَ الله هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا. فَقِيلَ : يَا رَسُولَ الله، أَلا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا"[1].

ومن هنا يظهر خطأ التسمية الورادة في كتب المتأخّرين، التي ينبغي تجنّبها، من دون أن يكون ذلك سببا للمز مؤلّف أو كاتب، وإنّما الأمر يدخل في أنّ البشر من الأوّلين والآخرين –مهما علا شأنهم– في نهاية الأمر بشر يصيبون ويخطئون، وعلى المسلمين جميعا العمل بمقتضى هذه القاعدة، وتطهير كلّ ما وجدوه في التراث من التبديع لخصومهم المسلمين؛ سنّة أو شيعة أو إباضيّة، ومحاولة بيان استدلال كلّ فريق، ووجهة نظره، ثمّ ترجيح ما يرجح، وإظهار المرجوح في القضية؛ سواء أكانت عقدية أم فقهيّة أم تاريخية أم غيرها، ولا شيء يخرج في الاختلاف بين المسلمين المقرّين بالله، المذعنين لربّهم من هذا، والله أعلم.

---

1) مسند الإمام أحمد، من مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، حديث: 3606؛ هذا؛ وإني لم نسقط القاعدة المقررة على الحديث لأنا أوردناه من باب الاستشهاد والاستئناس ليس إلا.

القضية التاسعة: قصة الغرانيق

1- العودة من الحبشة:

في شوال من السنة الخامسة للنبوّة عاد المهاجرون من الحبشة[1]، واختلف العلماء في سبب عودتهم من الحبشة، إلى أقوال، أهمّها[2]:

1- إسلام عمر بن الخطاب ﷺ. وقيل كان ذلك سنة 6 للنبوّة[3].

2- بسبب ثورة قامت ضدّ النجاشيّ، فخشي المسلمون العيش في بلد به ثورات، فعادوا إلى مكّة، وذلك على الرغم من أنّ المسلمين كانوا في أمان بأرض الحبشة، وأنّ النجاشيّ انتصر على من خرج عليه من الأحباش[4].

وإزاء القولين السابقين يوجد قول ثالث يرى أنّ السبب هو وصول خبر إسلام قريش إلى الحبشة، فرجع المسلمون مستبشرين خيرا إلى مكّة، لكن بمجرّد وصولهم مكّة ظهر كذب الإشاعة، فما هي أسباب ودواعي إشاعة إسلام قريش، وما هي حيثيّات القضيّة، هذا ما نعرضه فيما يسمّى بـ: "قصة الغرانيق".

2- سجود قريش لسماع تلاوة الرسول ﷺ:

في رمضان من السنة الخامسة، وقبل عودة المسلمين المهاجرين من مكّة إلى

---

1) المباركفوري: الرحيق المختوم، 81.

2) حمشو: السيرة النبوية من خلال الكتب الستة، 95.

3) المباركفوري: الرحيق المختوم، 90.

4) استوحينا هذا من سيرة ابن هشام، 1/ 98. وفيها: "اجتمعت الحبشة، فقالوا للنجاشي: إنك قد فارقت ديننا، **وخرجوا عليه**. فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً، وقال: اركبوا فيها، وكونوا كما أنتم، فإذا هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا".

الحبشة بشهر، خرج النبي ﷺ إلى الحرم المكّي، وكان فيه جمع كبير من قريش، فتلا رسول الله ﷺ سورة النجم، ولما وصل إلى قوله تعالى: "فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا"، (سورة النجم: 62) سجد، وكان من بين المستمعين خفية إلى تلاوته جمع من قريش، فلمّا لم يتمالكوا أنفسهم لتأثير القرآن على أسماعهم خرّوا سجّدا كغيرهم[1]. وثبت هذا عن طريق حديث رسول الله ﷺ؛ إذ يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أنّ النبي ﷺ قرأ سورة النجم، فسجد بها فما بقي أحد من القوم إلّا سجد.

فأخذ رجل من القوم كفّا من حصى -أو تراب- فرفعه إلى وجهه، وقال: يكفيني هذا"، قال عبد الله: فلقد رأيته بعدُ قُتل كافرا[2]. ويعلّق ابن كثير على أنّ الحدث كان من الأسباب التي دعت المهاجرين إلى العودة فقال: "وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظنّا منهم أنّ مشركي قريش قد أسلموا"[3].

ولما وصل خبر سجود قريش إلى كبرائهم خشوا سماع الناس الفضيحة، فاختلقوا أن يُشيعوا في الناس سبب السّجود لأجل سماعهم أن الرسول ﷺ كان يمدح أصنامهم[4].

---

1) المباركفوري: الرحيق المختوم، 82.

2) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، أبواب سجود القرآن، ما جاء في سجود القرآن وسنتها، حديث: 1031.

3) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 5/ 441. "تفسير قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ".

4) المباركفوري: الرحيق المختوم، 82.

3– التشكيك في الوحي من خلال قصّة السجود:

إلى حدّ الآن لا إشكال يذكر في القصّة، لكن من تتبّع ورودها في السنّة النبويّة، وما ورد من ألفاظ سجّلت أنّ النبي ﷺ ذكرها، سيجد أن الأمر صار خطيرا، وسيفهم لِمَ تحوّلت قصة بسيطة إلى موطن للشكّ والنيل من وحي الله تعالى، وهذا ما سنراه بالتفصيل بإذن الله تعالى فيما يأتي:

– جاء في حديث قال فيه سعيد بن جبير، لا أعلمه إلّا عن ابن عباس، أنّ رسول الله ﷺ: "قرأ النجم.

فلما بلغ: "**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى**"، ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق[1] العلى وشفاعتهنّ لتُرتجى!

فلما سجد، سجد المسلمون والمشركون، فأنزل الله عزّ وجلّ: "وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيءٍ اِلاَّ إِذَا تَمَنَّى[2] أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي[3] أُمْنِيَّتِهِ، إلى قوله: عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ". (سورة الحج: 52- 55)"[4].

يظهر من الحديث أنّ سبب سجود مشركي قريش سماعهم مدح أصنامهم من قبَل رسول الله القائل: "تلك الغرانيق العلى وشفاعتهنّ لترتجى!"، وليس فقط

---

1) الغرانيق، جمع غَرْنوق = وهو طائر أبيض يعلو في طيرانه، شبهت به قريش أصنامها، لعلوها كعلو طيران هذا الغرنوق.

2) تمنى = قرأ، من باب قوله تعالى: وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ" أي إلا قراءة دون فهم.

3) بمعنى : عند .

4) الطبراني: المعجم الكبير، من اسمه عبد الله، وما أسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، سعيد بن جبير، حديث: 12237؛ البزار: البحر الزخار، مسند ابن عباس رضي الله عنهما، رقم الحديث: 5096.

الاستماع المجرّد إلى آيات من سورة النجم كما هي عليه حاليا، ويفهم الآن ما الذي دعا إلى حملة تشكيك في الوحي، وفتح باب الاحتمالات على إلقاء الشيطان في روع الرسول ﷺ بعض الكلمات، وهو ما حمل العلماء للإجابة عن الإشكالات المتعلّقة بقصّة الغرانيق، والردّ على ما تشدّق به المشكّكون، وسنعرض ملخّص ردود بعض العلماء، الذين يسعون أن يجمعوا بين النصوص، ولا يردّوا السنّة، ولا يقبلوا بما ورد في الوحي من الإشكال الذي يعيق الإقرار بنصاعة دين الله تعالى المنزّل على نبيئه مُحَمَّد ﷺ، ثمّ نأتي بملخصّ المنافحين عن ثبات نصوص القصّة في السنّة، ثمّ نرجّح أحد الرأيين.

أ– المعارضون لروايات الغرانيق:

استند المعارضون لقبول رواية القصّة بجملة من المعطيات هي:

– مصطلح الغرانيق لم يرد في الصحيحين (البخاري ومسلم وما على درجتهما)، وإنّما ورد سجود المشركين لكلام الرسول ﷺ، كما مرّ سابقا في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

– وردت لفظة الغرانيق في بعض مصادر الحديث لتبرير سبب سجود المشركين مع النبيّ ﷺ حينما تلا قوله تعالى: "أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى"، فاستغلّ الشيطان موضوع الآيات، فألقى الشّيطان على لسانه: "تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهنّ لتُرتجى".

– ثبت أنّ مصادر الحديث التي أوردت تبرير السجود بإلقاء الشيطان كلمات في روع الرسول ﷺ، هي مصادر تبعية في الحديث، ولا يعوّل عليها

بداية، مثل: تفسير الطبري، وابن المنذر، والبزّار، والطبراني، وابن مردويه، وابن سعد في الطبقات. ومن تتبّع رواياتهم يلفيها روايات مرسلة ومنقطعة.

– روايات القصّة مضطربة جدًّا في أحوالها؛ مرّة قال النبي ﷺ تلك العبارة في الصلاة، ومرّة في نادي قومه، ومرّة حين أصابه النعاس، ومرّة حين سها، ومرّة حدّث بها نفسه، ومرّة قالها الشيطان، ومرّة قرأها النبيّﷺ.

أمّا اضطراب العبارة؛ فمرّة "تلك الغرانيق العُلا وإنّ شفاعتهم لتُرتجى"، ومرّة "الغرانقة العُلا إنّ شفاعتهم لتُرتجى"، ومرّة "أنّها لهي الغرانيق العُلا"، ومرّة "تلك الغرانيق العُلا منها الشفاعة ترتجى".

– ضعّف بعض الحفّاظ سندها ومتنها، وعدّوها لا تصحّ شرعاً ولا عقلا بهذه الكيفيّة، فقال: ابن كثير: "ولكنّها من طرق كلّها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح"[1]، وتوجد نقول كثيرة لعلماء آخرين يفنّدون القصّة، منهم: البيهقي القائل: "هي غير ثابتة من جهة النقل"، وقال ابن خزيمة: "إنّها من وضع الزنادقة". وقال ابن العربي: "إنّها باطلة لا أصل لها"[2].

ب– المثبتون لرواية الغرانيق:

– ردّ ابن حجر ردّا شديدا رأي من ذهب إلى أنّ القصّة لا أصل لها؛ فذهب إلى أنّ لها أصلاً وفيها من الأحاديث المراسيل ما يقوّي بعضها بعضاً[3].

---

1) انظر: ابن كثير: تفسير ابن كثير، ص 5/ 441، تفسير قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ".

2) انظر: الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تفسير سورة الحج، 25/ 55.

3) ابن حجر: فتح الباري، 8/ 439.

ج – الترجيح، وتوجيه القصّة:

من العلماء من مال إلى توجيه ما ورد في القصّة لأجل عدم ترك فجوة للتشكيك في وحي الله تعالى، وكذا اتّخاذ القصّة ذريعة لرفس السنّة، والقول إنّها ليست مصدرا تشريعيّا يعوّل عليه في الدين، وملخّص توجيههم هو:

1– لما رتّل الرسول ﷺ القرآن ارتصده الشيطان في سكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته، بحيث يظنّ من سمعه أنّها من قوله وأشاعها، ومن هنا نقلت قريش الحدث[1].

2– ألقى الشيطان للمشركين بتلك العبارات دون أن يسمعه النبيّ ﷺ والمؤمنون في تلك اللحظة، فالأمر بين الشيطان والمشركين، ولا علاقة له البتّة بالنبيّ ﷺ وغيره من المسلمين.

3– دفاع ابن حجر على ثبات القصّة من خلال تعدّد رواياتها المرسلة، يكون وجيها لولا أنّ هذه المراسيل لا تضمّ اضطرابا في متنها، أما وقد رأينا أنّ القصّة تضمّ أكثر من اضطراب في متنها، فإنّ هذا لا يجعل الروايات المرسلة يقوّي بعضُها البعض الآخر، والله أعلم.

4– وتوظيفا للقاعدة المقرّرة في هذا الكتاب، مفعول انتهاء السند، سنجد أنّ الحديث ينتهي في "قرأ النجم (قال سعيد بن جبير، لا أعلمه إلّا عن ابن عبّاس، أنّ رسول الله ﷺ: "قرأ النجم").

فهذا الحديث النبويّ ليس فيه إقرارات متعدّدة كما يتصوّر المسلمون

---

1) مُحَمَّد بن يوسف الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، 2/ 364.

المتأخّرون أو مَن قبلَهم بقليل، وإنّما فيه إقرار بقراءة النبيّ لسورة كاملة، فهذا الذي يلحقه السند، وهذه النتيجة قد تبدو بسيطة لدى أهل زماننا، لكنّ قوّة التحرّي تفرض علينا الدقّة في قراءة النصوص كما دوّنها الأوائل، لا كما أرادها المتأخّرون، وبهذا نغلق باب التشكيك في الإسلام من خلال هذه القصّة وغيرها، ونسدّ باب جرّ الإسلام إلى ويلات الاختلاف والتنازع، ويسهل علينا الجمع بين مواقف المسلمين بكلّ أطيافهم بعيدا عن كلّ مهاترات الكلام والاتّهام والتبديع والتضليل، وإحلال لغة الأخوّة والاعتصام والتّعاون والدعوة إلى الصلح بين الأطراف؛ السنّة والشيعة والإباضيّة محلها.

ونسأل الله أن يجعلنا من روّاد هذه الدعوة، ويقيّض من يعمل بها واقعيّا إلى يوم الدين.

الخاتمة

1- لا يعدّ طمس بعض الآثار الماديّة الإسلاميّة المتعلّقة بالرسول ﷺ أمرا مشينا، وذلك لتعلّق بعض الناس بالجدران تعظيما وتشريفا، والتمسّح بها تقرّبا وعبادة، مع استثناء ما ثبت فضله بصفة قطعيّة يقينيّة، كالكعبة، ومقام إبراهيم عليه السلام وغيرهما.

2- نسبة دار مولد الرسول ﷺ إلى رجل من المتأخّرين له انتماء إلى العائلة الحاكمة يفضي إلى الترويج السياسيّ، وتفضيل طائفة على أخرى، وهو ما يستدعي عدم الاعتداد بما رواه المؤرّخون في القضيّة.

3- لا ينبغي أن يُتّخذ من موقف الاحتفال بمولد الرسول ﷺ أو بتحديد تاريخه سببا للتمايز بين المسلمين؛ على أساس كلّ يأخذ موقفا أو تاريخا يظهر به خصوصيّته على الآخر.

4- لم يتمّ تصحيح إلّا رواية واحدة في إرهاصات نبوّة الرسول ﷺ، وهذه المصحّحة ليس فيها ما يدعو لحملها على نصّها، والأخذ بها لا يقوى أمام ما أقرّه الله تعالى عن بشريّة الرسول ﷺ، التي من أهمّ مظاهرها، تشابهه مع بقيّة الناس؛ مولدا، ونشأة، ووفاة، ولذلك فالأولى تأويلها.

5- القول بولادة الرسول ﷺ مختونا لا تتناسب وكمال جسم الإنسان، والراجح أنّه لم يولد مختونا، وهو المناسب لبشريّته ﷺ.

6- القول بترك المرضعات للرسول ﷺ لأجل أمر يتمه، فيه مبالغة في تصوير المسكنة، مع أنّ الرسول ﷺ نشأ في بحبوحة تحت كفالة جدّه الثريّ، فضلا عن

مال والده المتوفّى، وفيه دعوة لمحبّته عن طريق المظاهر المادّية (اليتم والشفقة لحال طفولته المسعفة)، في حين أنّ محبّته ﷺ ثابتة بأمر من الله تعالى، يقول تعالى: "قُلِ اِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ، قُلَ اَطِيعُواْ الله وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّواْ فَإِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ"، (سورة آل عمران: 31، 32).

7- لا مستندَ شرعيًّا يدعو إلى محبّة قوم الرسول ﷺ أو مدحهم لمجرّد أنّهم من قبيلته، ولا وعيدَ ثابتًا يلحق من لم يستخلف هؤلاء على غيرهم.

8- لا يصحّ نسبة تكهّن رجل مسلم فضلا عن غيره لنبوّة نبيء دون وحي من الله تعالى، وما نسب لبحيرا الراهب يدخل في المبالغات المثيرة لزيادة إعجاب المسلم بالرسول ﷺ، في حين أنّه ليس إلّا بشرا يوحى إليه كما وصفه ربّه، لم يتعلّم من أحد، ولم يستفد خبرة من غيره فيما يتعلّق بنقل كلام الله تعالى وتبليغه.

9- التدقيق في ألفاظ النقل الواردة في متن الحديث، والتوظيف المعاصر لآليّات التحقيق المنهجيّ الرصين، المنبنيّ على مقابلة النسخ الخطيّة، واستخراج مواطن بداية النصوص وانتهائها بدقّة، بعيدا عن الذاتيّة والعفويّة، سيكشف للمسلمين منهجا جديدا في قراءة أحاديث رسول الله ﷺ، وسيرفع عنهم كثيرا من الكلفة التي يعانون منها جرّاء التكلّف في جمع النصوص المتضاربة مع بعضها، أو المتناقضة مع ظاهر الآيات المحكمات في القرآن الكريم، أو المناقضة لحقائق العلم وأعراف الإنسانيّة قديما وحديثا. وكتطبيق عملي لذلك، يظهر أنّ ما نسب للرسول ﷺ من حزن وهمّ كادا أن يوصلاه إلى القنوط عند فتور الوحي، لم تنقل بطريقة صحيحة يعوّل عليها سندا، فضلا عن معناها ومتنها.

10- إيمانا بالقضاء والقدر من قبَل أولي العزم من الرسل عليهم السلام، فإنّه

لا يصحّ إطلاق تسمية الحزن على مواقفهم، فضلا عن التأريخ لأحداث وقائعهم اليوميّة بهذه التسمية، وهي إن كانت من إطلاق المتأخّرين من كتّاب السيرة على السنة العاشرة من النبوّة، فإنّ اللّائق بالدارسين المعاصرين أن ينزّهوا منها مصنّفاتهم.

11- الإقرار بقاعدة تحديد النصّ التابع للسند سيُزيل كثيرا من الغموض الواقع على بعض أحداث السيرة، كقصّة الغرانيق وغيرها. وينبغي تعميم القاعدة على باقي أحاديث رسول الله لكونها قاعدة مطّردة لكلّ سند يلحق نصّا فيه أكثر من فقرة، أو يحتوي على أكثر من جملة، أو يضمّ أكثر من حوار، فيعدّ السند خاصّا بالفقرة الأولى، وأمّا ما بعدها من الأقاويل والاستطرادات فليس بالضرورة أن يكون له نفس حكم الجزء السابق عليه. وفي حالة عدم العثور على سند خاصّ للفقرات اللاّحقة للأولى، يعدّ النصّ التابع مقطوعا غير موصول، وغير حجّة في الاستدلال العقديّ والفقهيّ والتاريخيّ. وبهذا ننقّي الأحاديث والمرويّات من كلّ ما لم يثبت، أو يتعارض مع نصوص القرآن الكريم وصحيح سنّة رسول الله ﷺ.

وكآخر تطبيق للقاعدة، وتحديد مفعول السند، نعيد قراءة الحديث الصحيح لحادثة شقّ الصدر على ضوئها، ونظهر النصّ المسند من غيره.

عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان. [هذا هو القسط المتصل الصحيح في نظرنا، وما بعده لا يلحقه السند].

فأخذه فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظّ الشيطان منك، ثمّ غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثمّ لأمه، ثمّ أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمّه -يعني ظئره- فقالوا: إنّ مُحَمَّدا قد

قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون".

قال أنس: "وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره".

حدّثنا هارون بن سعيد الأيلي، حدّثنا ابن وهب، قال: أخبرني سليمان وهو ابن بلال، قال: حدّثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك، يحدّثنا عن ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة، أنّه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، وساق الحديث بقصّته نحو حديث ثابت البنّاني، وقدّم فيه شيئا وأخّر وزاد ونقص[1].

1) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، حديث: 262.

قائمة المصادر والمراجع

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله (ت: 235هـ):

1- **مصنّف ابن أبي شيبة**، تحقيق: مُحَمَّد عوامة، دار القبلة، 2006.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت: 630هـ):

2- **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**. (الشاملة)

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ):

3- **الموضوعات لابن الجوزي**. (الشاملة)

ابن القيم الجوزية (ت: 751هـ):

4- **تحفة المولود بأحكام المولود**، التحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، 1391هـ/ 1971م.

5- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسّسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ/ 1994م.

ابن حبّان، أبو حاتم مُحَمَّد بن حبّان الدارمي، (ت: 354هـ):

6- **صحيح ابن حبّان**، (الشاملة)

ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ):

7- **تهذيب التهذيب**، (الشاملة).

8- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. (الشاملة)

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد (ت: 241هـ):

9- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (الشاملة)

ابن سعد، مُحَمَّد بن سعد بن منيع البصري (ت: 230هـ):

10- **الطبقات الكبرى**. (الشاملة)

ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت: 463هـ):

11- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. (الشاملة)

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقيّ (774 هـ):

12- **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ / 1999م،

13- **البداية والنهاية**. (الشاملة).

ابن هشام، أبو مُحَمَّد عبد الملك (ت: 218هـ):

14- **السيرة النبويّة**. (الشاملة)

أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت: 581هـ):

15- **الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة لابن هشام**، تحقيق: عمر عبد السلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ/ 2000م،

أبو شُهبة، مُحَمَّد:

16- **السيرة النبويّة على ضوء القرآن والسنّة**، دار القلم، دمشق، ط8.

أبو موسى الحريري:

17- **قسّ ونبيّ: بحث في نشأة الإسلام**، بيروت، 1979.

الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين:

18- **السلسلة الضعيفة، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيّء في الأمّة**، دار المعارف، الرياض، 1412هـ / 1992م،

19- **دفاع عن الحديث النبويّ والسيرة**. (الشاملة)

20- **صحيح السيرة النبويّة**، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، دت.

البخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل (ت: 265هـ):

21- **صحيح البخاري**. (الشاملة)

بدر الدين العيني الحنفي: (855هـ):

22- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. (الشاملة).

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو (ت: 292هـ):

23- **البحر الزخّار المعروف بمسند البزار**. (الشاملة)

بُودلي: ر. ف:

24- **الرسول حياة مُحَمَّد**، ترجمة : مُحَمَّد مُحَمَّد فرج، وعبد الحميد جودة السحار، مكتبة مصر، 1989،

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت: 458هـ):

25- **دلائل النبوة**. (الشاملة)

الترمذي، أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى (ت: 279هـ):

26- **سنن الترمذي**. (الشاملة)

الحاكم، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: 405هـ):

27- **المستدرك على الصحيحين**. (الشاملة)

حسام عبد الله حمشو:

28- **السيرة النبويّة: من خلال كتب السنّة، دراسة تحليلية**، الدار العثمانيّة، الأردن، 2008.

الحلبي: علي بن برهان (ت: 1044هـ):

29- **السيرة الحلبيّة في سيرة الأمين المأمون**، دار المعرفة، بيروت، 1400.

الذهبي، مُحَمَّد بن أحمد (ت: 748هـ):

30- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، 1407هـ/ 1987م.

الشنقيطي، مُحَمَّد الأمين:

31- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. (الشاملة)

الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد (ت: 360هـ):

32- **معجم الطبراني الكبير**. (الشاملة)

علي الكوراني العاملي:

33- **السيرة النبويّة برواية أهل البيت**، دار المرتضى، بيروت، 2009.

القسطلاني، أحمد بن مُحَمَّد (ت: 923هـ):

34- **المواهب اللدنيّة بالمنح المحمديّة**، تحقيق: أحمد صالح الشامي، المكتب الإسلامي، 2004.

المباركفوري، صفي الرحمن:

35- **الرحيق المختوم**، المكتبة العصريّة، بيروت، 2003.

مُحَمَّد الغزالي:

36- **فقه السيرة النبويّة**، خرج الأحاديث الشيخ الألبانيّ، دار الشروق، 2000.

مُحَمَّد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: 942هـ):

37- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوّته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد. (الشاملة)

مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي:

38- **فقه السيرة النبويّة**، دار الفكر، الجزائر، ص 45.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج (ت: 261هـ):

39- **صحيح مسلم**. (الشاملة)

الهيثمي، عليّ بن أبي بكر (ت: 807هـ):

40- **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان**، تحقيق: الألبانيّ وسمّاه "ضعيف موارد الظمآن"، دار الصميعي، 2002.

41- **موقع الإسلام: سؤال وجواب، للشيخ مُحَمَّد صالح المنجد**، عنوان الفتوى: روايات همِّ النبي ﷺ بالانتحار لا تصحّ لا سنداً ولا متناً،

42- **موقع وكيبيديا، ar.wikipedia.org**.

قائمة المحتويات

المقدمة..... 1
القضية الأولى: مكان ولادته ﷺ، وتاريخه 5
1- مكان مولده 5
2- تاريخ الولادة 6
القضية الثانية: إرهاصات الميلاد 11
1- الروايات الواردة في أنّ أمّ النبي ﷺ رأت نورا 11
2- وقع معتمدا على يديه 12
3- الانتقال بين الأصلاب 13
4- ارتجاس إيوان كسرى 13
القضية الثالثة: ختان الرسول ﷺ 19
القضية الرابعة: ترك المرضعات الرسول ﷺ ليتمه 21
القضية الخامسة: دعوة بعض كتّاب السيرة إلى محبّة قوم رسول ﷺ 27
القضية السادسة: قصّة بَحيرى الراهب مع الرسول ﷺ 37
القضية السابعة: التردّي من شواهق الجبال بسبب انقطاع الوحي 43
القضية الثامنة: التسمية بعام الحزن 48
1- الأحداث العصيبة في السنة العاشرة من النبوّة 48
2- وفاة عمّ الرسول ﷺ أبي طالب 49
3-وفاة زوجة الرسول ﷺ خديجة رحمها الله تعالى 53

4- إشكاليّة التسمية بعام الحزن 54
القضية التاسعة: قصّة الغرانيق 58
1- العودة من الحبشة 58
2- سجود قريش لسماع تلاوة الرسول ﷺ 59
3- التشكيك في الوحي من خلال قصّة السجود 60
أ- المعارضون لرويات الغرانيق 61
ب- المثبتون لرواية الغرانيق 63
ج – الترجيح، وتوجيه القصّة 63
الخاتمة 67
قائمة المصادر والمراجع 71
قائمة المحتويات 77

بين يدي الكتاب

تميزت حياة رسول الله ﷺ بأخلاق عالية، وشمائل طيّبة، ألهمت المؤلّفين من السلف والخلف للتسابق في تدوين مجريات السيرة النبوية.. فظهرت إثر ذلك بعض المبالغات في الوصف، وعلت بعض المنزلقات في التعبير، مما يتطلب التحري في النقل، والتمعن في القول، إيمانا بأن أعمال الخلق بعد الرسول ﷺ كلها تندرج في دائرة الاجتهاد، وتخرج من حلبة العصمة والتقديس.

وتحقيقا لدراسة علمية للسيرة النبوية، ومراجعة معرفية للغيبيات الواردة في الأحاديث النبوية، تتطلب الأمر الإقرار بأن ما دوّن في كتب الصحاح والسنن من الأحاديث النبوية لا يرجع كله إلى رسول الله ﷺ، وهذا استنادا إلى قاعدة حديثية جديدة مستوحاة من استقراء النصوص وتتبعها، "حد النص التابع للسند".

ونتصور أن توظيف هذه القاعدة سيحل كثيرا إشكالات التضارب في قراءة الأحاديث، وسيزيل كثيرا أسباب التشنج والفرقة بين المسلمين فيما اختلفوا حوله، وبالأخص في المجال العقدي والفقهي والتاريخي وغير ذلك.

بين يدي الكتاب

تميزت حياة رسول الله ﷺ بأخلاق عالية، وشمائل طيِّبة، ألهمت المؤلِّفين من السلف والخلف للتسابق في تدوين مجريات السيرة النبوية.. فظهرت إثر ذلك بعض المبالغات في الوصف، وعلت بعض المنزلقات في التعبير، مما يتطلب التحري في النقل، والتمعن في القول، إيمانا بأن أعمال الخلق بعد الرسول ﷺ كلها تندرج في دائرة الاجتهاد، وتخرج من حلبة العصمة والتقديس.

وتحقيقا لدراسة علمية للسيرة النبوية، ومراجعة معرفية للغيبيات الواردة في الأحاديث النبوية، تتطلب الأمر الإقرار بأن ما دوِّن في كتب الصحاح والسنن من الأحاديث النبوية لا يرجع كله إلى رسول الله ﷺ، وهذا استنادا إلى قاعدة حديثية جديدة مستوحاة من استقراء النصوص وتتبعها، "حد النص التابع للسند".

ونتصور أن توظيف هذه القاعدة سيحل كثيرا إشكالات التضارب في قراءة الأحاديث، وسيزيل كثيرا أسباب التشنج والفرقة بين المسلمين فيما اختلفوا حوله، وبالأخص في المجال العقدي والفقهي والتاريخي وغير ذلك.

مطبعة الآفاق غرداية - الجزائر
ISBN 978-9931-496-39-7 ردمك
9789931496397